تقرير

على خطى الموسيقى

معهد التراث والتنمية البشرية المستدامة Inherit - أفروديت سوروتو

فرح قدور

كانون الثاني/يناير 2025

المحتويات

المقدّمة 5
المشروع 5
منهجيّة البحث 7
التراث الموسيقي التّقليدي 9
الجهات الفاعلة الرئيسيّة في حفظ التّراث الموسيقي 10
أ. لبنان 11
أ.1. الهرمل، لبنان 11
خصائص المجتمع 11
التقاليد الموسيقية 12
الفنّانون 13
صانعو الآلات الموسيقية 13
أ.2. عكّار(الغجر)، لبنان 14
خصائص المجتمع 14
التقاليد الموسيقية 15
الفنّانون 16
صانعو الآلات الموسيقية 19
أ.3. اللاجئون السوريّون في بر الياس، لبنان 20
خصائص المجتمع 20
التقاليد الموسيقية 22
الفنّانون 22
صانعو الآلات الموسيقية 26
ب. سوريا 28
ب.1. ريف حماة ومدينة سلميّة 28
خصائص المجتمع 28
التقاليد الموسيقيّة 29
الفنّانون 30
صانعو الآلات الموسيقيّة 32
ب.2. قرية طبكة، القامشلي 33
خصائص المجتمع 33
التقاليد الموسيقية 34
الفنّانون 35
صانعو الآلات الموسيقية 40

ب.3. حيّ المشلب في الرقّة 42
خصائص المجتمع 42
التقاليد الموسيقية 44
الفنّانون 44
صانعو الآلات الموسيقيّة 48
ج. العراق 49
ج.1. بعشيقة وبحزاني 49
خصائص المجتمع 49
التقاليد الموسيقية 50
الفنّانون 50
صانعو الآلات الموسيقية 54
ج.2. ناحية النمرود، قرية التوفيقية 56
خصائص المجتمع 56
التقاليد الموسيقية 57
الفنّانون 57
صانعو الآلات الموسيقيّة 59
ج.3. البصرة، قرية جيكور 60
خصائص المجتمع 60
التقاليد الموسيقية 61
الفنّانون 62
صانعو الآلات الموسيقيّة 63
د. الأردن 64
د.1. الطيبة 64
خصائص المجتمع 64
التقاليد الموسيقية 65
الفنّانون 65
صانعو الآلات الموسيقيّة 68
د.2. معبر جابر الحدودي 70
خصائص المجتمع 70
التقاليد الموسيقية 71
الفنّانون 71
صانعو الآلات الموسيقيّة 71
المراجع 74

المساهمون..... 75

المقدّمة

المشروع

تشتهر كلّ من بلاد الشام وبلاد الرّافدين بإرثهما التاريخي والفنيّ الغنيّ الذي يشمل مجالات متنوّعة مثل الموسيقى والنّحت والعِمارة والأدب، والتي ازدهرت عبر الحضارات القديمة في المنطقة.

إنّ التأثير المدمّر لأعمال العنف المسلّح يظهر بشكل جليّ على جميع نواحي الحياة بما فيها التعبيرات والممارسات الثقافية، لكنّه يتجلى على نحو خاص في مجال الموسيقى الشعبيّة الفلكلوريّة. حيث أدّت النزاعات المسلّحة في سوريا وسنوات الصراعات العنيفة في العراق إلى التهجير القسري للعديد من المجتمعات الريفيّة والبدويّة وشعب الرّوما (الغجر) الموجودة داخل البلدين، ومن جهة أخرى، تشهد منطقتا بلاد الشام وبلاد الرّافدين تداعيات التغيّر المناخي منذ أواخر القرن العشرين. وقد أثّرت العديد من هذه التداعيات على الحياة الثقافية نتيجة اندثار أنشطة زراعيّة واجتماعيّة مختلفة.

تحتضن الأردن وسوريا والعراق ولبنان مشهداً زاخراً بالموسيقى التقليدية يعكس التنوع الثقافيّ العريق للمنطقة. وقد أسهمت مجتمعات متنوعة في هذه البلدان مثل مجتمعات البدو والدّوم والغجر (الرّوما) واللاجئين من جنسيات مختلفة مثل اللاجئين السوريين والفلسطينيين والعراقيين، في إثراء المشهد الموسيقيّ مع محافظتهم على هُويّاتهم الثقافية من خلال تعبيراتهم الموسيقيّة الفريدة. يتناول هذا التقرير التراث الموسيقيّ التقليديّ لهذه الدول والمجتمعات، مسلّطاً الضوء على أهميّتها الثقافية والسّبل التي أسهمت من خلالها في تشكيل التقاليد الموسيقيّة في المنطقة.

ركّزت منظمة العمل للأمل على الموسيقى الشعبيّة التي نادراً ما تمّ توثيقها في بلاد الشام وبلاد الرّافدين، لا سيّما في أحد عشر مجتمع مهمّش مثل القرى الصغيرة ومجتمعات البدو والغجر ومخيّمات اللاجئين في سوريا ولبنان والأردن والعراق، وذلك من خلال البحث والتوثيق وتنمية قدرات الموسيقيّين في هذه المجتمعات من خلال تعلّم وأداء الموسيقى والأغاني الشعبيّة، وصناعة الآلات الموسيقية المرتبطة بها لحمايتها من الاندثار، فضلاً عن تطوير مهاراتهم في الإنتاج الذاتيّ والتّسويق لتعزيز حضورهم والتّرويج لموسيقاهم بشكل أفضل.

إنّ حماية التراث الموسيقيّ في الأردن وسوريا والعراق ولبنان يتطلّب تعاوناً ودعماً دوليّين. ويمكن للمجتمع الدوليّ بما في ذلك منظمات مثل منظّمة الأمم المتّحدة للتربية والعلم والثقافة (اليونسكو) أن يلعب دوراً جوهرياً من خلال توفير الخبرات الفنيّة والتمويل والموارد لدعم جهود الحفظ. كما أنّ الشراكات مع الجامعات والمؤسّسات الثقافية والمنظّمات غير الحكومية يمكن أن تُسهم في تبادل المعرفة وبناء القدرات، مما يعزّز دور المجتمعات المحليّة في حماية تراثها الموسيقي والحفاظ عليه.

وبهذا فإنّ صون التراث الموسيقيّ في بلاد الشام وبلاد الرّافدين لا يعدّ مسألة حفاظ على الهويّة الثقافية فحسب، بل هو أيضاً وسيلة لتعزيز الصمود والتنمية المستدامة في أوقات النزاع. فمن خلال حماية هذا الإرث الموسيقي الغني، يمكن لهذه الدول أن تُسهم في تحقيق التعافي وإنعاش الاقتصادات المحلية وصون التراث الثقافي غير المادّي وتعزيز الحوار والتفاهم. يعدّ التعاون والدعم الدوليّان ضروريّين لضمان نجاح هذه الجهود. ومن خلال صون التراث الموسيقيّ، يمكن لهذه الدول أن تبني مستقبلاً أكثر إشراقاً يرتكز على تقاليدها الثقافية وروحها الصامدة.

خلفيّة المشروع

غالباً ما يصبح التراث الثقافي في أوقات النّزاع عرضة للدمار والفقدان. والتـّراث الموسيقيّ في الأردن وسوريا والعراق ولبنان لا يعدّ استثناءً على ذلك. لكنّ صون هذا الإرث الموسيقي الغنيّ أمر بالغ الأهمية ليس فقط من أجل الحفاظ على الهويّة الثقافيّة، بل أيضاً لتعزيز الصمود والتنمية المستدامة في هذه المناطق المتأثّرة بالحروب. نذكر هنا عدّة أسباب لأهميّة حماية التّراث الموسيقيّ لهذه الدول، كما نبرز الفوائد المحتملة التي يمكن أن يجلبها ذلك لمجتمعاتها.

1. صون الهويّة الثقافيّة:

تُعتبر الموسيقى جزءاً أساسياً من الهويّة الثقافية في الأردن وسوريا والعراق ولبنان، فهي تعكس التقاليد والتاريخ والقيم المتنوعة لهذه الدول. ومن خلال صون التّراث الموسيقيّ، يمكن لهذه الدول أن تضمن ارتباط الأجيال القادمة بجذورها، ممّا يعزز شعور الفخر والانتماء. كما أنّ صون الهويّة الثقافيّة يعدّ أداة قويّة للدبلوماسية الثقافية ممّا يعزز التفاهم والحوار بين المجتمعات المختلفة.

2. تعزيز التعافي والصمود:

تتمتّع الموسيقى بالقدرة على الشّفاء والتّخفيف عن الأفراد والمجتمعات في أوقات النّزاع. كما تعدّ شكلاً من أشكال العلاج حيث تساعد الناس على التكيّف مع الصدمات والفقدان. ومن خلال صون وحماية التّراث الموسيقيّ، يمكن للأردن وسوريا والعراق ولبنان الاستفادة من قوّة الموسيقى في عمليّة التعافي وبناء المنَعة والصمود، حيث تجمع الموسيقى الناس معاً وتساهم في سدّ الفجوات وتعزيز الشعور بالوحدة والأمل في وسط الشدائد.

3. إنعاش الاقتصادات المحلية:

يمكن للتراث الموسيقيّ في هذه الدول أن يساهم في التنمية المستدامة عبر تنشيط الاقتصادات المحلية. ويمكن للسياحة الثقافيّة التي تركّز على المهرجانات الموسيقية والحفلات والمواقع التراثية أن تجذب الزوّار من جميع أنحاء العالم، ممّا يولّد الإيرادات ويوفّر فرص عمل للمجتمعات المحليّة. ويمكن أن يساعد هذا الدعم الاقتصادي في إعادة بناء المناطق التي دمّرتها الحروب وتوفير مصادر دخل للموسيقيين والفنّانين، ممّا يسهم في الحفاظ على حِرفهم التقليديّة ومهاراتهم.

المشروع الجماعيّ

تمّ تنفيذ هذا المشروع على مدار خمسة وعشرين شهراً في أربعة دول هي العراق والأردن وسوريا ولبنان، بالشراكة مع ثلاثة شركاء محليّين هم شبكة فنّاني المدينة MedeArts في الأردن، ومؤسسة ملتقى الكتاب للثقافة والتعليم في الموصل-العراق، ومؤسسة سومر لتنمية المواهب الفنية في البصرة-العراق، ومنصّة بصمة بغدادية من بغداد-العراق، ومشروع قصّتنا من سوريا. وبالإضافة إلى الشركاء المحليّين، تتعاون منظمة العمل للأمل مع معهد التراث والتنمية البشرية المستدامة Inherit ومنظّمة Smart History في المملكة المتّحدة في مجالات البحث والترويج.

فريق منظّمة العمل للأمل:

- بسمة الحسيني – مديرة
- سارة زين - مديرة مشروع
- إحسان المعاني - مسؤول برنامج
- رنا المردود - منسّقة مشروع
- زهرة دحوس - منسّقة مشروع

منهجيّة البحث

إنّ فنون ومعارف المجتمعات الإحدى عشرة التي تمّ توثيقها شكّلت الأساس الرئيسي لهذا المشروع. لذلك، تمّ وضع المنهجية بدقّة عالية لضمان التوثيق والتسجيل والتحليل الدقيق للمعلومات المُجمَّعة.

ارتكزت منهجيّة البحث على مزيج من البحث المكتبي والزيارات الميدانية واختيار الباحثين وتدريبهم وجمع البيانات.

تمثّلت المرحلة الأولى من البحث في إجراء بحث مكتبي وزيارات ميدانية بين شهريّ كانون الثاني/يناير وأيّار/مايو 2023 نفّذها فريق منظّمة العمل للأمل. وقد ساعد ذلك في اختيار المجتمعات وتقييم مدى إمكانيّة تنفيذ البحث والأنشطة المستقبلية في كلّ منها. تمّ إطلاق دعوة إلكترونية لاستقطاب الباحثين مع التركيز على المتقدّمين من المجتمعات المختارة. وبعد إجراء مقابلات عبر الإنترنت أو بالحضور الشخصي، تمّ اختيار الباحثين النهائيين: أحد عشر باحثاً من أحد عشر مجتمع ممّن يتمتّعون بخلفية أكاديمية في الفنون أو علم الاجتماع.

خضع الباحثون الذين تمّ اختيارهم لتدريب إلكترونيّ لمدّة أربعة أيام بإشراف منظّمة العمل للأمل ومعهد التراث والتنمية البشرية المستدامة Inherit حيث شمل التدريب مقدّمة عن المشروع وشرحاً مفصلاً لمنهجيّة البحث، وتعريفًا بالمجتمعات التي سيعملون فيها، بالإضافة إلى تدريب فنيّ وموسيقيّ حول التصوير والتسجيل.

تمّ تقسيم الموادّ التي تمّ جمعها خلال البحث إلى قسمين: مواد مكتوبة ومسجّلة. وجُمعت المواد المكتوبة من خلال أربعة استبيانات قام الباحثون بتعبئتها داخل المجتمعات التي عملوا فيها. شملت هذه الاستبيانات الاستبيان المجتمعي الذي قدّم معلومات عامّة عن المجتمع من الناحية الاجتماعية والتاريخية والجغرافية والموسيقية. أمّا استبيان الفنّانين فركّز على الخلفية الموسيقية لكل فنّان ومعرفته، في حين تناول استبيان صانعي الآلات الموسيقية خلفيّاتهم ومعارفهم في صناعة الآلات الشعبية. وأخيراً، وصف استبيان المقاطع الموسيقية كل مقطع موسيقي قام الباحثون بتسجيله.

المجتمع	الاستبيان المجتمعي	استبيان الفنّانين	استبيان صانعي الآلات الموسيقيّة	استبيان المقاطع الموسيقية
الهرمل، لبنان	1	11	1	11
عكّار، لبنان	1	10	1	11
مخيّمات اللاجئين السوريين، لبنان	1	21	4	13
ريف حماة، سوريا	1	13	2	18
طبْكَه، سوريا	1	8	3	28
الرقّة، سوريا	1	14	0	17
بعشيقة وبحزاني، العراق	1	10	3	10
التوفيقية، العراق	1	9	2	7
جيكور، العراق	1	7	1	7
الطيبة، الأردن	1	13	4	13
معبر جابر الحدودي، الأردن	1	6	4	11

بعد استلام الاستبيانات المكتملة، قام فريق منظّمة العمل للأمل بمراجعتها مع الباحثين لضمان تغطية جميع الجوانب بشكل كامل. وأشرف الفريق على الترجمة لبدء مرحلة التحليل والكتابة من قِبل معهد التراث والتنمية البشرية المستدامة Inherit.

وفي الوقت نفسه، كانت المواد الموسيقية في مرحلة ما بعد الإنتاج، حيث قام فريق فنيّ بمراجعة جميع المقاطع المسجّلة والمصوّرة وكلّ المعلومات المتعلقة بها.

ظهرت العديد من التحديات خلال مرحلة البحث والدراسة مثل الصعوبات اللوجستية والاجتماعية والجغرافية واللغوية. وبما أنّ الحصول على معلومات دقيقة عن الموسيقى الشعبيّة ليس بالأمر السهل، بذل فريق منظمة العمل للأمل جهداً كبيراً للتغلّب على جميع العقبات من خلال التعاون مع الخبراء والفنّانين ذوي الخبرة.

بشكل عام، أتاحت منهجيّة البحث هذه استكشافاً شاملاً للمجتمعات المختارة وتقاليدها الموسيقية والأفراد المساهمين في الحفاظ على الموسيقى وابتكارها داخل هذه المجتمعات.

التّراث الموسيقيّ التقليديّ للأردن وسوريا والعراق ولبنان

تعدّ الأردن وسوريا والعراق ولبنان موطناً لمشهد غنيّ من الموسيقى التقليدية التي تعكس التراث الثقافيّ المتنوّع للمنطقة. وقد ساهمت مجتمعات مختلفة داخل هذه الدول مثل مجتمعات البدو والدوم والغجر واللاجئين من جنسيّات متنوعة مثل السوريين والفلسطينيين والعراقيين، في إثراء المشهد الموسيقي، مع الحفاظ على هُويّاتهم الثقافية من خلال تعبيراتهم الموسيقيّة الفريدة. يستكشف هذا الجزء التراث الموسيقي التقليدي لهذه الدول والمجتمعات، ويسلّط الضوء على أهميّتها الثقافية والطرق التي ساهمت بها في تشكيل التقاليد الموسيقية في المنطقة.

التّراث الموسيقيّ التّقليديّ

إنّ التراث الموسيقي التقليدي في الأردن وسوريا والعراق ولبنان هو شهادة على التنوّع الثقافيّ والمرونة في المنطقة. فقد تأثّرت هذه البلدان بالعديد من المجتمعات التي يحمل كلّ منها تقاليد موسيقية مميّزة.

يتمتّع البدو، وهم قبائل الرحّل التي تعيش في المناطق الصحراوية، بتراث موسيقي غنيّ يتّسم بالنّقر الإيقاعي والأهازيج اللحنية، واستخدام الآلات التقليدية مثل الربابة والمجوز، كما سنرى في مجتمعات ريف حماة في سوريا وهرمل في لبنان. تعكس موسيقاهم ارتباطهم الوثيق بالبيئة الصحراوية وطريقة حياتهم، حيث غالباً ما تحتفي بموضوعات مثل الحب والشرف والشجاعة.

لقد قام مجتمع الدّوم المعروف أيضاً بالنّوَر/الرّحّل، والذي يتمّ تمثيله في هذا البحث من قِبل قبيلة تركي في عكّارفي لبنان ومعبر جابر الحدودي في الأردن، بتقديم مساهمات كبيرة في الموسيقى التقليدية في المنطقة. ويتمتّع شعب الدوم ذو الأصول الهنديّة بأسلوب موسيقي مميّز يتّسم بالإيقاعات الحيويّة والألحان المعقّدة والأصوات المعبّرة. وغالباً ما تصاحب موسيقاهم الرقصات التقليدية والاحتفالات ممّا يجعلها وسيلة للتعبير الثقافي والتعبير عن الهويّة. وقد لعب الغجر المعروفون أيضاً باسم شعب الرّوما دوراً كبيراً في تشكيل التقاليد الموسيقية في المنطقة. تعكس موسيقى الغجر أسلوب حياتهم البدويّ وتراثهم الثقافي، حيث تتضمّن عناصر من مختلف المناطق التي عبروها (الطائي، 2019).

كما أسهمت مجتمعات اللاجئين المقيمة في هذه الدول في التراث الموسيقي التقليدي. فعلى سبيل المثال، حافظ اللاجئون الفلسطينيون على موسيقاهم التقليدية التي تعدّ بمثابة تذكير بتراثهم الثقافي ووسيلة للصمود في وجه التهجير. يتمّ تمثيل مجتمع اللاجئين هنا من خلال مخيّمات اللاجئين في بر إلياس في لبنان الذين جلبوا مزيجاً رائعاً من ثقافاتهم المتنوّعة إلى مكان واحد.

تتمتّع المجتمعات الريفيّة مثل مجتمعات التوفيقية وبعشيقة وبحزاني وجيكور في العراق، ومجتمع الطيبة في الأردن ومجتمعات الرقّة وتَبْكَه في سوريا، بكنز عظيم من الألحان الشعبيّة. وعند النظر في العلاقة بين هذه المجتمعات وأراضيها، يمكن فهم الحضور العميق للموسيقى في حياتهم اليوميّة حيث ترافقهم في جميع الأنشطة التي يقومون بها.

الجهات الفاعلة الرئيسيّة في حفظ التّراث الموسيقي

في سياق الحفاظ على الثقافة في المجتمعات التي عملنا معها في الأردن وسوريا والعراق ولبنان، هناك عدّة شخصيّات رئيسيّة تلعب دوراً هامّاً في دعم وتعزيز التّراث الثقافي، وهذه الشخصيات تشمل:

1. الحرفيّين والصانعين: يعدّ الحرفيّون وصانعو الآلات المتخصّصون الذين يتقنون الحرف التقليدية مثل صناعة الآلات من الشخصيات الرئيسية في الحفاظ على التقاليد الثقافية. حيث يقومون بنقل مهاراتهم ومعارفهم إلى الأجيال القادمة، ممّا يضمن استمرارية هذه الممارسات التقليدية.
2. المعلّمين وقادة المجتمع: يلعب المعلّمون والمربّون في المدارس الحكوميّة بالإضافة إلى قادة المجتمع والشيوخ دوراً حيوياً في تعزيز الحفاظ على الثقافة. حيث يؤكّدون على أهميّة المعرفة ويشجّعون تقدير وفهم التراث الثقافي بين جيل الشباب.
3. المنظّمات المحليّة: تلعب المنظمات دوراً أساسيّاً في دعم المبادرات التعليمية وجهود الحفاظ على الثقافة. توفّر هذه المنظّمات الموارد والإرشاد والمنصّات لعرض التقاليد الثقافية والاحتفاء بها.
4. الموسيقيّين والفنّانين: يساهم الموسيقيّون والفنّانون الذين يؤدّون الموسيقى التقليدية ويشاركون في الفعاليات الثقافية ويبتكرون الأعمال الفنيّة المستوحاة من الفلكلور في الحفاظ على تراثهم الثقافي. وتعدّ تعبيراتهم الفنيّة وسيلة لسرد القصص والحفاظ على التقاليد حيّة.
5. أعضاء المجتمع: يُعدّ السكان أنفسهم من الشخصيات الرئيسيّة في حفظ الثقافة. وتساهم مشاركتهم الفعّالة في الفعاليات الدينية والاجتماعية، واهتمامهم بنقل التقاليد داخل أسرهم، واحتضانهم للتنوّع في الحفاظ على التراث الثقافي والاحتفاء به.

وتضمن هذه الشخصيات الرئيسية من خلال جهودها الجماعيّة الحفاظ على التقاليد الثقافية والاحتفاء بها ونقلها إلى الأجيال القادمة في المجتمعات التي عملنا معها.

أ. لبنان

أ.1. الهرمل، لبنان

خصائص المجتمع

تقع الهرمل في شمال شرق لبنان وتعدّ رمزاً للغنى الثقافي والتقاليد. تقع على ارتفاع 780 متراً فوق سطح البحر وتتّسم بمناخ جاف وقاحل، ويبلغ عدد سكانها حوالي خمسين ألف نسمة. تعدّ الهرمل مدينة نابضة بالحياة وتزخر بالتاريخ والتراث، وتقع على بعد 143 كم من العاصمة بيروت، وأقرب مركز حضري لها هو بعلبك.

من الجوانب المثيرة للاهتمام في الهرمل تركيبتها السكانية، حيث يبلغ عدد الذكور 27,597 وعدد الإناث 29,132، ما يمنح المجتمع توازناً مميزاً في التمثيل بين الجنسين. ويعكس هذا التوازن الطبيعة الشاملة للمجتمع.

لطالما شكّلت الزراعة العمود الفقري لاقتصاد الهرمل، إلّا أنّ تطور المشهد الاقتصادي دفع بالمجتمع إلى التوسّع ليشمل الحرف والخدمات أيضاً. وقد سمح هذا التطور للهرمل بالتكيّف مع المتغيرات الزمنيّة وضمان بقاء وازدهار سكانها.

تشكّل العشائر والعائلات الكبرى في الهرمل مثل عائلة صقر وطه وناصر الدين وعلّو وحمادة والساحلي والمسمار جزءاً أساسياً من النسيج الثقافي الغني للمجتمع. وقد نقلت هذه العائلات تقاليدها وعاداتها عبر الأجيال، ممّا يضمن بقاء تراث الهرمل حيّاً ومتجذّراً.

على الرغم من التّحديات التي تواجهها الهرمل مثل انقطاع الكهرباء وضعف الوصول إلى الإنترنت، إضافة إلى تداعيات التغيّر المناخي المستمرّة، لا تزال الهرمل تزدهر بفضل تمسّك مجتمعها بتقاليده العريقة. حيث تُقام الاحتفالات الدينية والوطنية بحماسة وتكون مصحوبة بعادات وطقوس مميّزة، ممّا يعكس القيم والمعتقدات العميقة المتجذّرة في المجتمع.

إحدى هذه المناسبات هي إحياء ذكرى عاشوراء، وهي مناسبة دينية شيعيّة خاصّة. خلال هذا الحدث، يعمّ صوت الموسيقى الحزينة في الأجواء بينما يعبّر المجتمع عن تقديره لتاريخه الديني. ويتمّ نقل الطقوس المميّزة المرتبطة بعاشوراء عبر الأجيال، ممّا يعزز ارتباط المجتمع بماضيه.

يقوم التواصل مع المجتمعات المجاورة مثل مجتمعات البدو والروما والدوم والمجتمعات الريفيّة على أساس الضرورة. وتكتسب العلاقة مع هذه المجتمعات أهميّة خاصّة فيما يتعلّق بالأنشطة الزراعية. فالمناخ الجاف

وشبه القاحل للمنطقة يؤثر في نمط الحياة والممارسات المجتمعية، ممّا يجعل التعاون مع المجتمعات المجاورة أمراً ضرورياً.

في الختام، يتميّز تاريخ الهرمل بالتحوّل من اقتصاد قائم على الزراعة إلى اقتصاد يركّز على الحِرَف والخدمات. وقد كان لهذا التحوّل تأثير عميق على المشهد الاقتصادي للمجتمع. تُعدّ عادات الزواج ولا سيّما حفل "الحنّاء" التقليدي وتبادل المهر عناصر أساسية تعزّز التّلاحم الاجتماعي داخل المجتمع. وتلعب البلدية دوراً محورياً في تيسير الأنشطة الثقافية وتوفير فرص التدريب. كما تسهم هذه الجهود في صون التّراث الثقافي للمجتمع وتعزيزه، مجسّدةً روح التقاليد والصمود. وعلى الرغم من التحديات، يظلّ المجتمع ثابتاً في الحفاظ على إرثه الثقافيّ الغنيّ. فبفضل تركيبتها السكّانية المتنوّعة وارتباطها الوثيق بالزراعة وتقديرها العميق للموسيقى والتقاليد، تبرز الهرمل كمجتمع مزدهر ونابض بالحياة في لبنان.

التقاليد الموسيقية

يتكوّن المشهد الموسيقي في مدينة الهرمل من مزيج جميل من الألحان الشعبيّة القديمة والأنغام الحديثة. لا تزال الآلات التقليدية مثل الربابة والمنجيرة/الشبّابة والناي والعود والطبل جزءاً أساسياً من المشهد الموسيقيّ المحلي، حيث تردّد أصداء الألحان الشعبية القديمة. لكنّ المشهد الموسيقي في المدينة تبنّى أيضاً الآلات الحديثة مثل الجيتار والأورغ، ممّا أضاف لمسة معاصرة للموسيقى .

لا يعتمد الموسيقيون في الهرمل بشكل أساسي على حرفتهم كمصدر دخل. كما يشاركون في جلسات تدريبية منتظمة تنظّمها البلدية، حيث يتعلّمون المهارات الموسيقية الحديثة والتقليدية ممّا يعكس التزام المجتمع بالحفاظ على تراثه الموسيقي الغنيّ ونقله إلى الأجيال الشابّة.

يتمّ الاحتفاء بالموسيقى في مختلف المناسبات الاجتماعية والدينية في الهرمل، ومن الجدير بالذكر أنّ الموسيقى تكون حاضرة في المناسبات السعيدة مثل حفلات الزواج والحنّاء والجلسات العائلية، وكذلك في المناسبات الحزينة مثل الحداد، حيث يتمّ أداء أنماط موسيقية محدّدة مثل "الفراقيّات."

على الرغم من أنّ الهرمل تتمتّع بتقاليد موسيقية غنيّة، إلا أنّ المدينة تستورد بشكل رئيسي الآلات الموسيقية بما فيها الربابة من الحرفيّين في مدن مثل طرابلس وغيرها. إنّ هذا التركيز على الاستيراد بدلاً من صناعة الآلات محليّاً يعكس واقع الموسيقى الشعبية والتحديات التي تواجهها، خاصة من الناحية الاقتصادية، حيث أنّ الطلب على هذه الآلات يعتبر منخفضاً نسبياً.

بشكل عام، يعدّ المشهد الموسيقي في الهرمل مزيجاً متناغماً من القديم والحديث، حيث تتقاطع الألحان الشعبية القديمة مع الألحان الحديثة. ويظهر التزام المجتمع بالحفاظ على تراثه الموسيقيّ من خلال الجلسات التدريبية المنتظمة والاحتفالات التي تُقام على مدار العام.

الفنّانون

من الأنغام الشعبيّة العذبة إلى العروض الآسرة، يعكس المشهد الموسيقي في الهرمل التقاليد العريقة والتعبيرات الفنية الفريدة للفنانين المبدعين. يتناول هذا القسم حياة وإبداع أربعة فنّانين متميّزين يجسّدون روح التراث الموسيقي في الهرمل.

فرح سامر بليبل

تجلب فرح سامر بليبل منظوراً جديداً إلى المشهد الموسيقي في الهرمل. تعمل فرح كأخصّائية علاج وظيفي وهي في الثالثة والعشرين من عمرها. إنّ شغف فرح بالموسيقى يتجاوز الحدود، حيث تمزج بين الأساليب الشرقية والغربية ببراعة. وبفضل آلات مثل العود والجيتار، تُضفي فرح إلى عروضها لمسة عصريّة فريدة، وغالباً ما ترافقها فرقة تضمّ آلات البيانو والطبل والكلارينيت والكمان. يعكس أسلوبها المبتكر في التأليف الموسيقي والأداء التوازن بين تقاليد الهرمل وتطوّرها الثقافي، ممّا يربط الماضي بالحاضر ببراعة.

محمد علي اسكندر

محمد علي إسكندر هو مغنّي شعبيّ مخضرم يبلغ من العمر 50 عاماً ويجسّد جوهر التراث الموسيقي في الهرمل. إنّ محمد متخصّص في أغاني "العتابا" والنمط الموسيقيّ الشعبيّ الجبلي (الريفي)، وتتميز عروضه بالأصالة والعمق العاطفي. يستمدّ محمد الوحي من التقاليد العائلية وتجارب الطفولة، فتحقّق إبداعاته العذبة في الغناء عن الفراق والغزل والحب صدى عميقاً لدى الجمهور في الأعراس والمناسبات الحزينة والجلسات العائلية. إنّ التزام محمد بالحفاظ على إرث الهرمل الموسيقي يضمن استمرار ازدهار التراث الثقافي للمنطقة للأجيال القادمة.

سليمان علي علّو

يبلغ سليمان علي علّو من العمر 56 عاماً وهو فنان متعدد المواهب ويتميّز كمغني وعازف ماهر على الربابة والناي والعود. يشمل رصيده الفنّي التراث الشعبي اللبناني مع تركيز خاص على الفُراقِيات (أغاني الفراق) والشروقي والعتابا. إنّ صوت سليمان المرن ومتعدد الجوانب يسمح له بالتنقّل بين مختلف أنواع الموسيقى، حيث يأسر الجمهور بأدائه في المناسبات السعيدة والحزينة على حدّ سواء. وبفضل خلفيّته الموسيقية الغنية المستمدّة من تجارب الطفولة والتدريب الرسميّ تحت إشراف الأستاذ شكيب حمادة، فإنّ مساهمات سليمان في إرث الهرمل الموسيقي عميقة ودائمة.

رزق أحمد اسكندر

يبلغ رزق أحمد اسكندر من العمر ست وستين عاماً، ويُعتبر فناناً شعبياً متمرّساً معروفاً بإتقانه للزجل والعتابا والشعر. ما يميّزه هو دمجه الفريد بين المونولوج والفولكلور، حيث يمزج بسلاسة بين الشعر النقدي والألحان التقليدية. من القصائد الدينية في مولد النبيّ محمد إلى شعر خاص بذكرى عاشوراء، تحقّق عروض رزق صدى عميق لدى الجمهور في الأعراس وحفلات الحنّاء والجنائز. وبينما يعزف على العديد من الآلات مثل الطبلة والعود والربابة، فإنّ استخدامه المميّز للطاولة الخشبية كآلة إيقاعية يضيف لمسة شخصية إلى مؤلفاته.

صانعو الآلات الموسيقية

يتناول هذا القسم حِرفيّة وتقاليد صانعي الآلات الموسيقية في الهرمل في لبنان. من الأنغام اللحنيّة للربابة إلى

التفاصيل الدقيقة الخاصّة بصناعة هذه الآلة الموسيقية المحبوبة، يحافظ هذا الحرفيّ البارع على إرث ثقافي يتجاوز الأجيال.

سليمان علي علّو

سليمان علي علّو هو عازف ربابة يبلغ من العمر 56 عاماً، ويعدّ وصيّا على التقاليد وصانعاً ماهراً لهذه الآلة الموسيقية. ولد سليمان في سلالة من الأفراد المرتبطين بعمق مع التراث الموسيقي للهرمل، وبدأت مسيرة سليمان مع الربابة في السنوات الأولى من حياته، حيث أصبحت أنغامها الموسيقية كأنّها الموسيقى التصويرية لنشأته.

تحمل الربابة معها إرثاً غنياً حيث من المرجّح أنّها من صنع البدو ثمّ تناقلتها الأجيال. لا تكمن خبرة سليمان في العزف على هذه الآلة القديمة فحسب، بل أيضاً في الفنّ المعقّد الخاص بصنعها. ومع اهتمامه الدقيق بالتفاصيل، يختار سليمان أجود المواد لصنعها، بما في ذلك الأقواس المنحنية والأوتار والقلفونيّة (الراتنج) والغزال (الجسور) والعنق، والتي يمكن صناعتها من خشب السندان أو جلد الماعز أو جلد الغنم أو البلاستيك.

إنّ صناعة الربابة عمل شاق يتطلب قياسات دقيقة وأيدي ماهرة. ويتضمّن عمل سليمان تصنيع الخشب في مخرطة مع ضمان أن يلبّي كلّ مكوّن المواصفات الدقيقة للآلة. يجلب سليمان شعر الخيل للقوس من صديق له في بيروت، بينما يجلب الأشياء الأخرى مثل القوس والراتنج/القلفونيّة من المورّدين المحليين. وبينما يستخدم سليمان أحياناً قوالب جاهزة، فإنّ حرفيّته تبرز عندما يضيف لمساته وملحقاته الخاصة إلى كل آلة.

ورغم التحديات الاقتصادية والتحوّلات التي يشهدها عالم الفنّ، يظلّ سليمان ثابتاً في التزامه بالحفاظ على إرث الربابة. حيث لا ينظر سليمان إلى الآلة باعتبارها مجرد سلعة، بل يعتبرها إرثاً عزيزاً يجب حمايته للأجيال القادمة. ورغم أنّه نادراً ما يبيع الآلات التي يصنعها، إلّا أنّه عندما يفعل ذلك فإنّه يبيعها لأفراد يشاركونه شغفه بالموسيقى واحترامه للتقاليد. وبالنسبة لسليمان، فإنّ القيمة الحقيقية للربابة لا تكمن في سعرها، بل في قدرتها على نقل رسالة الفنّ وربط المجتمعات عبر مختلف الأزمنة والأماكن.

أ.2. عكّار(الغجر)، لبنان

خصائص المجتمع

يقدّم الغجر أو الرحّل كما يُفضّلون أن يتمّ تسميتهم لوحة جذابة من التقاليد المتميزة في عكّار التي تقع بين حلبا والقبيات في قرية الكواشرة. يقيم في هذا المجتمع حوالي 120 إلى 150 شخص إلى جانب حوالي 350 شخص ينتمون إلى نفس العشيرة "التركي" التي توجد أيضاً في سوريا، ويحتفظ بتوازن شبه مثالي بين الذكور والإناث من حيث عدد السكّان. إنّ معدّل الأميّة في هذا المجتمع مرتفع جداً، حيث تبلغ نسبة من يستطيعون القراءة والكتابة حوالي 5%، ولا توجد مؤسسات تعليمية داخل المخيّم. وبسبب ارتفاع معدل الفقر، لا يستطيع السكّان تسجيل أبنائهم في المدارس القريبة. ومن الجدير بالذكر أنّ الفئة المهنيّة داخل هذا المجتمع تبرز اهتماماً كبيراً بالفن. فالذكور من أعضاء المجتمع يجيدون رسم مناظر طبيعية متناغمة باستخدام الآلات الموسيقية

التقليدية مثل الطبل والبزق والمزمار؛ في حين تواصل النساء مساهماتهنّ من خلال الأنشطة الزراعية والاهتمام بشؤون المنزل.

وعلى الرّغم من الجهود المبذولة للحفاظ على التقاليد في إطار المجتمع المحلي، فإنّ التّعليم يظلّ راكداً بسبب القيود المالية التي يعاني منها السكان. ويواجه الرحّل مجموعة من الصّعاب بما في ذلك إمدادات الكهرباء غير المنتظمة وإمكانية الوصول المحدودة إلى المياه وتغطية الإنترنت المتقطّعة - وهي العوامل التي جعلت غالبية السكّان غير مسجّلين رغم فخرهم الكبير بانتمائهم التاريخي بقبيلة بني مُرّة.

تحظى الاحتفالات بالأعياد الإسلامية باهتمام كبير لدى الغجر، حيث توفّر للفنّانين المحليّين فرصاً قيّمة للتعبير الإبداعي. والموسيقى جزء لا يتجزأ من الحياة اليومية للسكّان حيث تحظى الألحان الشعبية برعاية كبيرة. وغالباً ما تكون مصحوبة بأصوات رنّانة لآلات موسيقية مثل الطبل والمزمار والبزق والمنجيرة/الشبّابة، والتي تشكل جزءاً أساسياً من التقاليد الخاصة بالعروض في المنطقة. بالنسبة للكثيرين ممّن يعيشون هنا، فإنّ الموسيقى لا تعدّ هواية ترفيهيّة فحسب، بل توفر أيضاً مصدر رزق يساهم بشكل كبير في تحفيز الاقتصاد المحلي رغم أنّ الحرفيّة المرتبطة بتلك الآلات الموسيقية لا تزال مقتصرة على المستوى المحلي.

إنّ التعمّق في الخلفيّة الثقافيّة لعكّار يُبرز قرية مشتى حمّود والروابط الوثيقة حول منطقة وادي خالد، ممّا يبرز التاريخ الغني المرتبط بالسرديّة الموسيقية التي كانت تُسمع عبر العصور.

على الرغم من أنّ العلاقات الخارجيّة ظلّت مقيّدة بسبب صعوبة التنقّل والمعوّقات التي أعاقت الاتصالات وزادت من صعوبة التواصل خارج المنطقة، إلا أنّ العائلات المتماسكة مثل عائلة أبو تركي حافظت على حبّ مشترك للمؤلّفات الموسيقية التي تمّ تناقلها عبر العصور.

التقاليد الموسيقية

بالنسبة للرحّل في عكّار، لا تُعتبر الموسيقى الشعبية مجرّد فنّ بل هي أسلوب حياة، وتشكّل مصدر دخل للعديد من الناس وتمثل تقاليد عائلية راسخة. تُجسّد عائلة أبو تركي هذا التراث بمهاراتها الفنية البارزة التي تشمل كِلا الجنسين، ممّا يعكس موقف المجتمع الشموليّ تجاه المرأة في مجال الفنون. وغالباً ما تشير الأغاني إلى الماضي الزراعي للمنطقة، ممّا يُظهر الارتباط الدائم بالأرض.

يفضّل السكّان المحليّون الآلات الموسيقية مثل الطبل والمزمار والبزق والمنجيرة/الشبّابة، والتي يتمّ جلبها غالباً من سوريا ممّا يشير إلى تراث موسيقي مشترك. كما أنّ إصلاح الآلات الموسيقية وخاصة الطبل يوفّر فرصاً اقتصاديّة إضافية.

الفنّانون

جمال خالد تركي - عازف طبل

جمال خالد تركي هو عازف إيقاع يبلغ من العمر 26 عاماً ومتخصّص في العزف على الطبل. يقيم جمال في الكواشرة ويجسّد نبض المشهد الموسيقي السوري. وعلى الرغم من عدم تقديم معلومات محدّدة عن النوع الموسيقي، إلّا أنّ رؤى جمال تسلّط الضوء على الانتشار الواسع للطّبل في مناطق مثل ريف حمص وطرطوس وعكّار وبعلبك والهرمل.

يعتبر الطبل متجذّراً بعمق في التقاليد الثقافية البدويّة والريفيّة، ويُؤدّى بشكل متكرّر خلال المناسبات الاجتماعية بما في ذلك المناسبات الاحتفاليّة والحزينة، وبالتالي فإنّه يتجاوز الحدود بين الفرح والحزن. وسواء كان الأداء منفرداً أو كجزء من فرقة موسيقية، فإنّ وجود الطبل لا غنى عنه، فهو يكمّل الآلات الموسيقية مثل البزق والمنجيرة/الشبّابة. وتعدّ سُلالة جمال بمثابة الأساس الموسيقي له، حيث تمّ تناقل المعرفة من الأجداد إلى الآباء والأحفاد، ممّا يضمن استمرارية التقاليد الإيقاعية للطبل.

ورغم أنّ جمال لا يمارس التّدريس بشكل رسميّ حالياً، فإنّ استعداده لمشاركة خبرته يعكس التزامه بالحفاظ على التّراث الموسيقي في بلاد الشام. وبعزفه السّماعيّ على الطبل، فإنّ جمال يُضفي على كلّ عرض أدائي عفوية وأصالة مُظهراً بذلك أذنه الموسيقية الثّاقبة وموهبته الفطريّة. تكمن براعة جمال في قدرته على التعبير عن الأنماط الإيقاعية من خلال النطق الشفهي، مثل "دوم إس" و"دوم تاك". هذه الأنماط الإيقاعية تتردّد في مختلف الأنواع الموسيقية على الرغم من عدم تسميتها، ممّا يُبرز مرونة آلة الطبل وقدرتها على التكيف.

نعتبر جمال خالد تركي وصيّاً على التراث الإيقاعي في بلاد الشام، حيث تتردّد أصداء عروضه على الطبول عبر مشاهد الاحتفال والتأمّل، وتنسج قصة حول الصمود الثقافي والحيوية الموسيقية.

خالد ربيع تركي - عازف طبل

خالد ربيع تركي هو عازف طبل يبلغ من العمر 25 عاماً ويقيم في قرية الكواشرة المطلّة على مياه البحيرة الهادئة. يتخصّص خالد في العزف على الطبل، وتتجذّر مسيرته الموسيقية بعمق في الثقافة البدوية بشكل يتماشى مع إيقاعات المناسبات الاجتماعية والمناسبات السعيدة والحزينة على حدّ سواء.

إنّ عزف خالد على الطبل يعدّ تقليداً عزيزاً توارثته أجيال من أفراد عائلته. يعبّر خالد بتواضع عن استعداده لتعليم الآخرين وعن اهتمامه الكبير بتعلّم حِرفة صناعة الآلات بنفسه.

أمّا فيما يتعلّق بالآلات الموسيقية، فإنّ خالد يعزف بشكل أساسيّ على الطبل، وهي آلة إيقاعية تقليدية منتشرة في منطقة بلاد الشام، وقد اشترى آلته في سوريا بسعر يبلغ 150 دولاراً أميركياً من حرفيّين متخصّصين في مدينة تلكلخ في جنوب حمص.

يضمّ رصيد خالد الموسيقي مواضيع متنوّعة مثل الغزل والفراقيات، وتتميّز عروضه بالكلمات العربية التي يتمّ التعبير عنها باللّهجة البدويّة المميّزة. ومع التزامه بالحفاظ على الموسيقى التقليدية، يضيف خالد عمقاً وأصالة إلى عروضه، ويضفي العواطف بما يتناسب مع مناسبة كل عرض أدائي.

خالد عبدالله تركي - عازف مزمار

يبلغ خالد عبد الله تركي من العمر 47 عاماً وهو موسيقي متعدّد المواهب يقيم في الكواشرة، وله رصيد موسيقي متنوّع يشمل العتابا والدبكة والفراقيات. إنّ إتقانه لآلة المزمار وهي آلة نفخيّة تقليدية، يضيف لمسة فريدة إلى عروضه، حيث يستحضر الثراء الثقافي لمناطق مثل ريف حمص وطرطوس وعكّار وبعلبك والهرمل.

على الرغم من إجادة خالد لعزف المزمار، إلّا أنّ مساره الموسيقي يمتدّ إلى تعليم أولاده واستكشاف تفاصيل صناعة الآلات الموسيقية. ويتجلّى التزامه بالحفاظ على الموسيقى التقليدية بوضوح من خلال سعيه لنقل معرفته إلى الأجيال القادمة. يُحيي خالد من خلال عروضه المواضيع الخالدة مثل الغزل والفراقيّات، موحّداً المجتمعات بلغة الموسيقى العالمية.

إنّ آلة خالد الموسيقية (المزمار) تعتبر من الآلات الأساسية في مناطق التركمان والأكراد، وكذلك في مناطق أخرى من بلاد الشام. وفي حين أنّ تفاصيل مكان شراء آلته وصناعتها لا تزال غير معلنة، فإنّ تفاني خالد في حِرفته وتراثه يتجلّى في كلّ أداء لحني، ممّا يثري النسيج الثقافي لمحيطه.

خضر ربيع تركي - عازف طبل

خضر ربيع تركي هو عازف طبل يبلغ من العمر 25 عاماً ويقيم في قرية الكواشرة ويتخصّص في العزف على الطبل. إنّ عروض خضر متأصّلة بعمق في الثقافة البدوية وغالباً ما تصاحب المناسبات الاجتماعية والمناسبات السعيدة والحزينة.

يعدّ عزف خضر على الطبل تقليداً عزيزاً توارثته أجيال من عائلته. ومع التزامه بالحفاظ على الموسيقى التقليدية، يضيف خضر عمقاً وأصالة إلى عروضه ويضفي العواطف بما يتناسب مع مناسبة كل عرض أدائي.

فيما يتعلّق بالآلات الموسيقية، فإنّ خضر يعزف بشكل أساسي على الطبل، وهي آلة إيقاعية تقليدية منتشرة في منطقة بلاد الشام، وقد اشترى آلته في سوريا بسعر يبلغ 150 دولاراً أميركياً من حرفيّين متخصّصين في مدينة تلكلخ في جنوب حمص.

ورغم أنّ التفاصيل المتعلّقة بالمقامات والأنماط الإيقاعيّة لا تزال غير مُعلنة، فإنّ عروض خضر غالباً ما تتضمّن موضوعات الغزل والفراقيّات مع كلمات تُلقى باللهجة البدويّة المميّزة. ومع شغف خضر تجاه حِرفته، فإنّه يواصل إثراء النسيج الثقافي المحيط به من خلال لغة الموسيقى العالمية.

محمد تركي - عازف طبل ومغنّي

يبلغ محمد تركي من العمر 27 عاماً وهو فنّان متعدّد المواهب يُتقن العزف على آلة الطبل والغناء. يقيم محمد في الكواشرة، وتتضمّن أعماله الموسيقيّة أنواعاً موسيقيّة مثل الدّبكة والموّال، وهي أنواع متجذّرة بعمق في التقاليد الثقافية للمنطقة.

على غرار وعد، إنّ عروض محمد الأدائيّة تتناغم مع المشاعر التي يتمّ التعبير عنها في المناسبات الاجتماعية السعيدة والحزينة. سواء كان الأداء منفرداً أو كجزء من فرقة موسيقيّة، فإنّه يعرض موهبته على آلات مثل الطبل والمزمار والبزق والمنجيرة/الشبّابة.

يتجلّى التزام محمد بالحفاظ على الموسيقى التقليديّة في حِرفيّته، حيث يصنع بنفسه آلة المنجيرة/الشبّابة يدوياً. وقد اشترى آلة الطبل الخاصّة به في سوريا مقابل 150 دولاراً أمريكياً من حرفيّين متخصّصين في ريف حمص.

نديمة تركي - مغنّية

نديمة التركي هي ربّة منزل تبلغ من العمر 50 عاماً. تُبرز نديمة النسيج الغنيّ للموسيقى البدويّة من خلال أدائها المؤثر للموّال، وترتبط عروضها بشكل عميق بالمناسبات الاجتماعية والمناسبات السعيدة والحزينة على حدّ سواء.

تتميّز نديمة بأسلوبها الغنائيّ الذي يتّسم بالأصالة والعمق العاطفي، وغالباً ما تصاحب عروضها آلات موسيقية مثل البزق والمنجيرة/الشبّابة، ممّا يعكس التقاليد الثقافية لمجتمعها.

وبينما تظلّ التفاصيل حول تعليم نديمة ورصيدها الموسيقيّ نادرة، فإنّ تفانيها في الحفاظ على الموسيقى التقليدية يبدو جليّاً. فمن خلال ألحانها الخالدة وكلماتها المؤثّرة، تأسِر نديمة الجمهور وتحافظ على جوهر الثقافة البدويّة للأجيال القادمة.

عمر محمد تركي – عازف بزق

عمر محمد تركي هو عازف بزق يبلغ من العمر 20 عاماً. يتخصّص في الأنواع الموسيقية هي الدبكة والعتابا، وهي أنواع موسيقيّة تقليدية موجودة في سوريا والعراق ولبنان وفلسطين. ترتبط هذه الأنواع عادةً بالثقافة البدويّة والريفيّة ويتمّ أداؤها في المناسبات الاجتماعية والمناسبات السعيدة والحزينة.

يمكن لعمر أن يقوم بالأداء الفردي أو ضمن فرقة. في حالة الأداء ضمن الفرقة، يُعتبر البزق الآلة الرئيسية ويصاحبه الطبل والمزمار. تعلّم عمر العزف على البزق من قِبل زوج عمّته الذي يُدعى نجاح الشعراني والذي يعدّ عازفاً مشهوراً.

ورغم أنّ عمر لا يمارس التعليم بشكل رسميّ حالياً، إلا أنّه يعرب عن استعداده لتعليم الآخرين العزف على البزق. وهو يعزف على البزق الكهربائي بشكل أساسي لضروريّات العمل. يعزف على هذه الآلة أيضاً التركمان والأكراد، وخاصة في مناطق مثل ريف حمص وطرطوس وعكّار.

إذا كان شخص ما مهتماً بشراء بزق، فإنّ عمر ينصح بشرائه من سوريا بسعر يبلغ 150 دولاراً أمريكياً. ويوصي بشرائه من الحرفيين المهرة في ضبط الآلات اليونانية والتركية، ويذكّر بالفنّان نجاح الشعراني في سوريا. وعلى الرغم من أنّ عمر لم يحاول صنع البزق بنفسه، إلا أنّه منفتح على تعلّم الحِرفة في المستقبل.

وبحسب عمر فإنّ مقام البيات هو المقام الأكثر شيوعاً، والأنماط الإيقاعية الأكثر شهرة هي الواحدة والعرب والمقسوم واللّف والأيوب، والتي توجد عادة في الموسيقى العربية.

تدور مواضيع أغانيهم غالباً حول الغزل والفراقيات، وتكون جميع كلمات الأغاني باللغة العربية وتُغّنى باللّهجة البدوية. كما يضيف المؤدّون كلمات وأجزاء إلى أغانيهم بناءً على المناسبة ويقومون بإهدائها لأفراد معينين.

ربيع عبدالله تركي – عازف طبل

يبلغ ربيع عبد الله تركي من العمر 45 عاماً وهو عازف طبل متمرّس يقيم في الكواشرة، ولديه رصيد يشمل أنواعاً موسيقية مثل العتابا والدبكة والفراقيات والفولكلور الشعبي. إنّ إتقانه للطبل يضيف لمسة فريدة إلى عروضه، حيث يستحضر الثراء الثقافي لمناطق مثل ريف حمص وطرطوس وعكّار وبعلبك والهرمل.

بالإضافة إلى براعته الموسيقية، يحرص ربيع على نقل معرفته إلى الأجيال القادمة، وتعليم أطفاله فنّ العزف على الطبل. ويتجلّى التزامه بالحفاظ على الموسيقى التقليدية حيث يواصل استكشاف تفاصيل صيانة الآلات الموسيقية وصناعتها.

وعد تركي – عازف طبل ومغنّي

وعد تركي هو عازف طبل ومغنّي موهوب يقيم في الكواشرة. يشمل رصيده الموسيقي أنواعاً موسيقية مثل الدبكة والموّال، وهي أنواع متجذّرة بعمق في الثقافة والتقاليد البدوية.

وعلى الرغم من عدم وجود معلومات محدّدة حول الأنواع الموسيقية التي يتخصّص بها، إلا أنّ عروضه ترتبط بشكل عميق بالمناسبات الاجتماعية والمناسبات السعيدة والحزينة على حدّ سواء. يتميّز وعد بمجموعة متنوّعة من المهارات، فهو ماهر في الأداء المنفرد أو كجزء من فرقة، وغالباً ما يكون مصحوباً بآلات موسيقية مثل الطبل والمزمار والبزق والمنجيرة/الشبّابة.

غالباً ما تتضمّن عروض وعد مواضيع الغزل التي يتمّ تقديمها باللهجة البدويّة المميّزة. يُثري وعد المشهد الثقافي لمجتمعه من خلال موسيقاه، ويربط بين الأجيال باستخدام الألحان التقليدية الخالدة.

صانعو الآلات الموسيقية

إنّ صناعة الآلات الموسيقية في عكّار تقليد عزيز توارثته الأجيال، حيث تشتهر المنطقة بالحرفيّين المهرة الذين يصنعون الآلات الموسيقية بعناية ودقّة، حفاظاً على التراث الثقافي للمنطقة.

محمد تركي – صانع طبل

من بين هؤلاء الحرفيّين محمد تركي، وهو عازف سابق على آلة الطبل وخبير في شدّ الطبل. إنّ إتقان محمد وتفانيه في الحفاظ على فنّ صناعة الطّبل العريق جديران بالثناء.

إنّ محمد تركي هو صانع طبول ماهر للغاية ولا يعمل حالياً بشكل منتظم. ونظراً لكونه عازف طبل سابق، فإنّه يتمتّع بفهم عميق للآلة وتعقيداتها. يقيم محمد في قرية الكواشرة الخلّابة التي توفّر مشهداً هادئاً على ضفاف بحيرة مشتى حمّود الجميلة.

تتمتّع آلة الطبل وهي آلة قديمة بأهميّة تاريخيّة كبيرة في العديد من المناطق والثقافات. وتكمن خبرة محمد في المكوّنات المختلفة للآلة، بما في ذلك القشرة والوسادات والحلقات والجلد وحبال الشد.

بالنسبة للقشرة، يستخدم محمد خشب الجوز المعروف بمتانته ورنينه المميّز. أمّا الوسادات والحلقات، فيجلبها جاهزة من سوريا. يتمّ اختيار مادة صنع الوسادات والحلقات من جلد الماعز أو اللفائف البلاستيكية لتلبية مختلف التفضيلات والميزانيات. أمّا الجلود المستخدمة في آلة الطبل، فيتمّ شراؤها من مسالخ المواشي المحلية.

يتمّ العزف على آلة الطبل باستخدام عصيّ الضرب التي يصنعها محمد يدوياً. فهو يستخدم خشب الغار أو الليمون لصناعة العصا المعروفة بـ "توشكان" لإصدار صوت "دُم" الغليظ، و"تيرك" لإصدار صوت "تك" الرفيع. في حين يتمّ شراء القشرة والوسادات والحلقات جاهزة، يتجلّى إبداع محمد في صناعة عصيّ الضرب حيث يضيف لمسة شخصية إلى كلّ آلة.

يتجلّى تفاني محمد في الحفاظ على فنّ صناعة الطبل من خلال حرصه على نقل المعرفة إلى الأجيال القادمة. فقد ورث هذه الحِرفة عن والده وعلّم أبناءه كيفية تثبيت الجلد. إلا أنّ تزايد الإقبال على المواد البلاستيكية أدّى إلى تراجع الاهتمام بمعالجة الجلود.

فيما يتعلّق بالتسعير، يقدّم محمد خدمات شدّ الطبل للعازفين والهُواة، وتختلف التكلفة حسب المواد المستخدمة، حيث يبلغ سعر جلد الماعز 60 دولاراً، والبلاستيك 30 دولاراً، في حين تُباع عصيّ الطبل مقابل 15 دولاراً. تؤثر جودة العمل الحِرفيّ أيضًا في السعر النهائي، إذ تُقدَّر التفاصيل الدقيقة والمهارة العالية بقيمتها.

لا يزال محمد شغوفاً بحرفته على الرغم من قلّة العمل المنتظم حاليّاً. لكنّه يأسف لتراجع الطلب على الجلد الطبيعي الذي حلّت محلّه تدريجياً المواد البلاستيكية التي تتزايد شعبيّتها. ومع ذلك، يظلّ تفانيه في الحفاظ على فنّ صناعة الطبل ثابتاً لا يتزعزع.

تسهم خبرة محمد تركي واهتمامه بصناعة الطبل في تعزيز التراث الثقافي الغني في عكّار. وتضمن حِرفيّته أن تستمر تقاليد العزف على الطبل في الازدهار، ممّا يتيح للأجيال القادمة تقدير هذا الإرث الموسيقي واحتضانه.

أ.3. اللاجئون السوريّون في بر الياس، لبنان

خصائص المجتمع

إنّ مخيّمات اللاجئين السوريين في بر الياس الواقعة بالقرب من زحلة في لبنان تعدّ مجتمعاً مزدهراً ويتمتّع بالمنَعة. تستفيد المخيّمات من قربها من الموارد الحضريّة في زحلة. ومع وجود حوالي 55 ألف لاجئ، يقدّم كل فرد مساهماته الفريدة في المجتمع. من الجدير بالذكر أنّ 60% من اللاجئين في المخيمات يعملون في مهن متنوّعة، بما في ذلك الزراعة والأعمال اليدويّة.

يوجد داخل المخيّمات حرفيّون متخصّصون يتفوّقون في صناعة أفران التنّور، بالإضافة إلى أفراد ماهرين في أعمال البناء مثل النجّارين وعمّال الإسمنت والدهّانين وعمال الجبس والكهربائيين. كما أنّ التعليم مهمّ أيضاً في بر الياس، حيث تقدّم المدارس الحكوميّة التعليم الابتدائي والثانوي بالإضافة إلى مدرسة مهنيّة. تلعب المنظمات المحليّة مثل "هاند-سوا-ألفابيت" دوراً حيوياً في توسيع الفرص التعليميّة داخل المخيمات.

على الرغم من توفّر الموارد المائية بشكل نسبيّ في المخيمات، إلا أنّ هناك تحديات تتعلق بالكهرباء والاتصال بالإنترنت بسبب الفواتير المرتفعة. تُعدّ الخدمات الأساسية جزءاً حيوياً من الحياة اليوميّة لسكّان المخيم. إنّ بر الياس مجتمع متنوّع، حيث يتعايش السكّان المضيفون اللّبنانيون واللاّجئون السوريون معاً مع امتزاج ثقافاتهم. يُساهم السوريون من مختلف المحافظات والعشائر مثل طي وبكارة ونعيم وغيرها بمنظورهم الفريد من أماكن مثل إدلب والرقة ودير الزور والحسكة وحمص. كما تُثري العائلات القادمة من دمشق وحلب وحمص وحماة وإدلب التنوّع الثقافي في مخيمات اللاجئين بشكل أكبر.

إنّ بر الياس مجتمع حيوي ومتعدد الثقافات يمتاز بغنى الاحتفالات الثقافية والدينية. تحظى المناسبات الدينية مثل عيد الفطر وعيد الأضحى والمولد النبوي بأهمية كبيرة لدى السكان. كما تعدّ حفلات الزواج والختان للأولاد مناسبات اجتماعيّة هامة.

تلعب الموسيقى والممارسات الثقافية دوراً محورياً في بر الياس، حيث تعدّ وسيلة للتعبير عن الهُويّة. إنّ مهرجانات الموسيقى وموائد المنسف العربية ورقصات الدبكة الشرقيّة والعروض التي تضمّ آلات مثل المزمار والطبل تجمع أفراد المجتمع معاً. وتُسمَع الأناشيد الدينية خلال مواسم الحصاد والحداد ورحلات الحج والمولد النبوي.

تتميّز حفلات الزواج في بر الياس بعروضها الموسيقية الإقليمية. وتميل المدن إلى تفضيل العروض العربيّة، في حين يتردد صدى الأغاني الشعبية ورقصة الدبكة التقليدية في الرّيف. وترافق خدمات التأبين الأحزان والجنازات، مضيفةً إلى النسيج الموسيقي الذي يوحّد المجتمع.

إنّ اللّغة وخاصّة اللّغة العربية تشكل قوة موحّدة في بر الياس. ورغم وجود لهجات مختلفة من محافظات سورية مختلفة، إلا أنّ الروابط التاريخية والزواج بين السكان يسهّل التواصل بينهم.

تعود جذور بر الياس التاريخيّة إلى الممالك والحضارات السورية القديمة مثل الآرامية والآشورية والكلدانية والأوغاريتية. كما تأثّر المجتمع بالرومان والمسلمين والعثمانيين الذين شكّلوا المشهد الثقافي. وقد ازدهرت الموسيقى بشكل خاص في بر الياس على مرّ العصور، ولا سيّما في العصر العباسي وفي الأندلس.

تقع مدينة بر الياس ضمن حدود مناخ معتدل نسبياً، وتتمتع بروابط تاريخية راسخة وتزاوج بين المجتمعات السورية – ممّا يعكس إرثها الثقافي الغني. كما تغذّي اللغة العربية الموحّدة التواصل السلس بين أفراد المجتمع،

وتشكّل جسرًا لغوياً شاملاً يمتدّ حتى إلى مجتمع الدوم. وعلى الرغم من عاداتهم الفريدة، فإنّ هذه اللغة المشتركة تربطهم معاً في قواسم مشتركة.

إنّ التعمّق في مدينة بر الياس يكشف عن سرديّة تنسجها روح الصمود وتعزيز التنوّع الثقافي وروح المجتمع الثابتة وسط واقع التهجير القاسي. علاوة على ذلك، إنّ المخيمات تعدّ أكثر من مجرد كيان جغرافي؛ فهي تجسّد مَعلماً خالداً يعكس صلابة وعزيمة وقوة الشعب السوري المهجّر في لبنان.

تنبع هذه القوة من تاريخ مشترك وثقافات متنوّعة وشعور بالوحدة بين السكّان. فهذا لا يلخّص رحلة بقائهم فحسب، بل أيضاً يبرز قصصاً مؤثّرة عن صمود الإنسا، ويوضّح كيف يمكن للأفراد التضامن في مواجهة الشدائد من خلال التاريخ والثقافة المشتركة.

التقاليد الموسيقية

في مخيّمات اللاجئين السوريين بالقرب من بر الياس، تعتبر الموسيقى مصدر دخل للعديد من السكان. إنّ الأنواع الموسيقية الشائعة في المجتمع هي الشرقيّة-التركمانية. ويتمّ نقل طريقة تعليم الموسيقى من جيل إلى جيل ممّا يساهم في الحفاظ على الاستمراريّة الثقافيّة. ومن الملفت رؤية تقبّل الموسيقى واندماجها في حياتهم اليومية، ممّا يبرز أهميّتها الثقافية. كما تلعب النساء دوراً نشطاً في ذلك حيث يؤدّين أغاني محدّدة، خاصة خلال مناسبات مثل حفلات الحنّاء. ويتمّ استخدام مجموعة متنوّعة من الآلات الموسيقية، بما في ذلك العود والبزق والمزهر والطبلة والطبل والناي والمزمار والمنجيرة/الشبّابة والربابة. من الجدير بالذكر أنّ هذه الآلات تُصنع داخل القرية والمخيّمات باستخدام مواد مثل القصب والجلد والدانتيل والخشب والفضة والبلاستيك. ويبرز الاستخدام الفريد للمهباج كآلة إيقاعية، حيث كانت تُستخدم في الأصل لتحضير القهوة العربية، ويصاحبها الغناء والموسيقى، ممّا يبرز تداخل الموسيقى مع الأنشطة اليومية. يعبّر أفراد المجتمع عن اهتمام كبير بتعلّم التراث الموسيقي والحفاظ عليه، حيث يسعى البالغون لاكتساب مهارات الحرفة ونقلها إلى الجيل الأصغر.

الفنّانون

في قلب مخيّمات اللاجئين السوريين في بر الياس وبين ثنايا المعاناة، ينسج الفنّانون والشعراء والموسيقيّون وحرّاس التّراث خيوط الحياة في نسيج الفلكلور السوري العريق. من الألحان القديمة للزجل والفراقيّات إلى الإيقاعات العميقة للطبل والمزمار، يُعتبر هؤلاء الفنّانون الذين يمثّلون أجيالاً مختلفة وخلفيات ثقافيّة وعرقيّة متنوّعة حَمَلَةَ شُعلة التراث الثقافي. في داخل هذا المجتمع، تُعدّ قصّة كل فنان شهادة على روح الشعب السوري الصامدة في مواجهة التهجير. ورغم التحديات التي يواجهونها، يواصل هؤلاء الفنّانون الإبداع والإلهام ومشاركة تراثهم الثقافي مع العالم. من خلال موسيقاهم وشعرهم وتعبيراتهم الفنية، يقدّمون شعوراً بالهويّة والانتماء لأنفسهم وللاجئين الآخرين. كما تعدّ عروضهم تذكيراً بالتراث الثقافي الغني الذي يتجاوز حدود مخيّمات اللاجئين. وقصصهم هي شهادة على صمود الروح الإنسانية وقوّتها، حيث يواجهون تحديات النزوح والتهجير بمرونة وابتكار.

أحمد تركماني – عازف مزمار

أحمد تركماني هو عازف مزمار وراقص في "العراضة" الدمشقيّة التقليدية، وهو من ريف دمشق في سوريا ويعيش في بر الياس. يمثّل أحمد إرث الموسيقى الشرقية العريق، حيث تعكس مسيرته الموسيقية النسيج الغني للفلكلور الدمشقي ولهجاته. تتميّز عروضه بأنغام المزمار والعود والطبل والربابة والطبلة، وتأسر الجمهور في حفلات الزواج والمناسبات الاجتماعية الأخرى. يظهر تفاني أحمد في هذه الحِرفة من خلال رغبته في تعلّم تفاصيل الآلات التقليديّة والحفاظ عليها، ممّا يضمن استمراريّة التراث الموسيقي للأجيال القادمة.

أحمد سلمان شيخ نعسان – عازف إيقاع

أحمد سلمان شيخ نعسان هو فنّان مستقلّ من إدلب في سوريا، يقيم في بر الياس ويلعب دور سفير الإيقاعات الشامية، فينسج نسيجاً لحنياً من الزجل والهجيني والفراقيّات. إنّ عروض أحمد الإيقاعية التي تتخللها إيقاعات الطبلة والطبل تضفي الحيوية على حفلات الزواج والمناسبات الاجتماعية في جميع أنحاء المنطقة. ورث أحمد العزف على الآلات الإيقاعية من عائلته ومارسها كهواية، وهي بمثابة شهادة على التراث الموسيقي الغني في سوريا، حيث يتردد صداها لدى الجماهير خارج الحدود الجغرافية.

عابد أحمد تركماني - عازف إيقاع

عابد أحمد تركماني هو عازف إيقاع شاب من ريف دمشق في سوريا، يقيم في بر الياس ويحتضن التقاليد الإيقاعية لتراثه بحماسة. يتقن عابد الفنّ الشعبي والزجل والهجيني والفراقيّات، ممّا يثري النسيج الثقافي لمجتمعه. بفضل موهبته المتوارثة في العزف على الطبل والمزمار والكاتم والطبلة، فإنّ أداء عابد يتناغم مع روح الاحتفال في الأعراس والجلسات الدينية. ويؤكّد تفانيه في حِرفته على التزامه بالحفاظ على جوهر الموسيقى الشعبية التي تتجاوز الحدود اللغوية والثقافية في جميع أنحاء بلاد الشام.

أدهم حسين البريج - عازف ربابة

أدهم حسين البريج هو فنّان شاب وعازف ربابة وشاعر من حمص في سوريا، يقيم في بر الياس ويجسّد الإبداع متعدّد الأوجه في الفن الشعبي السوري. إنّ رصيد أدهم الفنّي من الفراقيات الممزوجة بألحان الربابة العذبة تعكس مشاعر الفراق والشوق. وتتعدى مهارته الموسيقية حدود الموسيقى لتشمل الشعر، ممّا يثري المشهد الثقافي لمجتمعه. كما أنّ تفاني أدهم في الحفاظ على الآلات الموسيقية التقليدية يضمن استمراريّة التراث الموسيقي السوري، ويشكّل منارة تُلهم الفنّانين الطموحين.

فراس محمود - عازف إيقاع

فراس محمود هو عازف إيقاع شابّ يقيم في بر الياس، وهو من إدلب في سوريا. يجسّد فراس النبض الإيقاعي لتقاليد الموسيقى الشعبية، ويتخصّص في الموسيقى الشعبية والزجل والهجيني والفراقيات، ممّا يساهم في المشهد الموسيقي الديناميكي في منطقته. يعرض فراس موهبته الموروثة من خلال الإيقاعات الساحرة للطبل والمزمار والكاتم والطبلة في مجموعة من الأغاني المخصّصة لحفلات الزواج والاحتفالات الدينية. ويظلّ فراس رغم التحديات ثابتاً في التزامه بحرفته وبصناعة الآلات بعناية فائقة. ويتجاوز التزامه بالتّراث الموسيقي الحدود، ويتردّد صداه عبر الألحان المتنوّعة في سوريا والعراق ولبنان والأردن وفلسطين.

فاطمة محمد طه – مغنّية

فاطمة محمد طه هي ربّة منزل في العقد الثالث من العمر من دير الزور في سوريا، وتعيش في بر الياس وتعدّ وصيّة على تراث الزجل الشرقي السوري. إنّ عروض فاطمة المتجذّرة في التراث الثقافي للرقّة والحسكة ودير الزور تجسّد إيقاعات الحصاد والأعراس والرثاء. والقصائد التي ورثتها فاطمة عن أجدادها تشهد على الإرث المتجذّر لشعر اللّهجة الشاويّة، وتحافظ على التفاصيل اللّغوية والثقافية للأجيال القادمة.

غازية إياد عبدالله – مغنّية

غازية إياد عبدالله هي ربّة منزل في منتصف العمر من دير الزور في سوريا، تقيم في بر الياس وتعدّ وصيّة على تراث الزجل والأغاني الشعبية في المنطقة الشرقية. تعكس عروض غازية المتجذّرة في تقاليد الحصاد والأعراس والرثاء الجاذبية الخالدة للشعر الشعبي. ورثت غازية قصائدها من أجدادها، وتشكل أبياتها تذكيراً بغنى الإرث اللّغوي للّهجة الشاويّة، متجاوزة حدود الزمن بأهميّتها المستمرّة.

حمود تركي المحمود - عازف مزمار

حمود تركي المحمود هو عازف مزمار من إدلب في سوريا، ويقيم في بر الياس، يُعد وصيّا على الألحان الفلكلورية في بلاد الشام. تتجاوز خبرة حمود الخمسين عاماً، وتعكس مهارته في صناعة الطبلة والمزمار تفانياً طويل الأمد في الحفاظ على التراث الموسيقي. كما تنبض عروضه بإيقاعات الأعراس والمناسبات الدينية، فتجد صداها لدى الجمهور في سوريا والعراق ولبنان والأردن وفلسطين. ورغم التحديات، يظلّ التزام حمود بحرفته ثابتاً، حيث يحافظ على استمرارية التقاليد الموسيقية الشعبية للأجيال القادمة.

هايلة خضر خلف – مغنّية

هايلة خضر خلف هي ربّة منزل في عقدها الثالث من دير الزور في سوريا ومقيمة في بر الياس، وتُعتبر وصيّة على التقاليد الشعبية السورية الشرقية التي تعدّ رمزاً للتراث الثقافي في المنطقة. تتناغم عروض هايلة الغنائية التي تعكس إيقاعات الحصاد والأعراس والمناسبات الحزينة مع التجارب الجماعية لمجتمعها. ورغم ظهور الأنواع الحديثة، تظلّ هايلة ثابتة في التزامها بالحفاظ على إرث أسلافها، ونقل فن الزجل إلى الأجيال القادمة. تعدّ قصائدها المتجذرة في لهجة الفرات شهادة على الروح الدائمة للثقافة البدوية في مواجهة التغيير.

محمد أحمد مرداتي – مغنّي

يقيم محمد أحمد مرداتي في بر إلياس وهو في الأصل من إدلب في سوريا وهو عاطل عن العمل. يعدّ محمد وصيّاً على الفولكلور الشامي المتجذّر في الألحان العذبة للفراقيات. تجاوز محمد أحمد الخمسين عاماً، وتتميّز عروضه الغنائية التي تتناغم مع إيقاعات الأعراس والمناسبات الدينية بتفاصيل اللّهجة السورية التي تضفي عليها طابعاً خاصاً. ورث محمد قصائده عن أسلافه، وهي بمثابة تذكير بالإرث الثقافي الغني لسوريا، حيث تتجاوز الحدود الزمنية بجاذبيتها الخالدة.

مراد محمود - عازف إيقاع

مراد محمود هو عازف إيقاع من إدلب في سوريا يقيم في بر الياس، ويجسّد الروح الإيقاعية للتقاليد الشعبية. إنّ شغف مراد بالآلات الإيقاعيّة واضح من خلال إتقانه للعزف على الطبلة والكاتم والطبل. ويمتدّ التزامه بحرفته إلى صناعة الآلات الموسيقية بدقة ممّا يضمن جودتها وأصالتها. إنّ عروض مراد التي تتميّز بالإيقاعات الديناميكية والتفاصيل اللحنية تلقى صدى لدى الجماهير في جميع أنحاء بلاد الشام، ممّا يؤكد على جاذبية تراث الموسيقى الشعبية الخالدة.

نجاح حسن الحمد – مغنّية

نجاح حسن الحمد هي ربّة منزل من دير الزور في سوريا، تقيم في بر الياس، تعدّ وصيّة على التراث البدوي الذي يتجسد في ألحان الهجيني والفراقيات. إنّ عروض نجاح الغنائية المتجذرة في لهجتيّ الشاويّة والفراتيّة تعكس جاذبية موضوعات الغزل والحصاد والفراق الخالدة. ورثت نجاح قصائدها من أجدادها وتناقلتها الأجيال، وتعدّ تذكيراً بالنسيج الثقافي الغني لدير الزور كما تحافظ على التفاصيل اللغوية للأجيال القادمة.

عنود فضل محمود – مغنّية

عنود فضل محمود هي ربّة منزل في منتصف العمر من دير الزور في سوريا، تقيم في بر الياس، وتعدّ وصيّة على تقاليد الزجل السوري الشرقي المتجذّر في النسيج الثقافي للرقّة والحسكة ودير الزور. تُجسّد عروض عنود الغنائية التي تتمحور حول موضوعات الحصاد وحفلات الزواج والحزن جوهر التعبير الجماعي. ورثت عنود قصائدها عن أجدادها حيث تعدّ بمثابة جسر إلى الماضي، وتحافظ على التفاصيل اللغوية والثقافية للهجة الشاويّة للأجيال القادمة.

عدي صبحي شاكر – مغنّي

عدي صبحي شاكر هو فنّان شعبيّ شابّ مقيم في بر الياس، وهو من إدلب في سوريا. يعدّ مناصراً قويّاً لفلكلور بلاد الشام الغنيّ بتقاليد الزجل والهجيني والطرب. تستحضر عروض عدي التي تتميز باللهجة السورية الإدلبية المميزة روح الاحتفال بالأعراس والمناسبات الاجتماعية. ورث عدي الموسيقى من عائلته ومارسها كهواية، وهي بمثابة جسر يمتدّ إلى جذوره الثقافية متجاوزاً الحدود اللغوية والجغرافية. يحافظ عدي من خلال فنّه على الجاذبية الخالدة للتراث الشعبي السوري، ويضمن استمراره للأجيال القادمة.

قاسم محمد علي – مغنّي

قاسم محمد علي هو عامل مياومة في منتصف العمر من دير الزور في سوريا، ويقيم في بر الياس. يعدّ وصيّاً على التقاليد الشعبية الفراتية المشبّعة بالنسيج الغني من الزجل والفراقيات والعتابا الفراتية. وتجسّد عروض قاسم الغنائية المزيّنة بلمسات لهجة الفرات جوهر الاحتفالات المجتمعية والتعبير الثقافي. وقد ورث قاسم الغناء عن أسلافه وصقله من خلال المشاركة في الاحتفالات المحليّة، كما أنّ التزامه بالحفاظ على الأشكال الشعبية التقليدية يضمن استمرارية الإرث الثقافي لدير الزور للأجيال القادمة.

سميّة حمد الحسين – مغنّية

سمية حمد الحسين هي ربّة منزل في العقد الثالث من العمر وتقيم في مخيّم بر الياس رقم 028، وهي من دير الزور في سوريا. تمثّل سميّة النسيج الغني لتراث الموسيقى الشعبية في المنطقة الشرقية من سوريا. تكمن خبرة

سمية في الألحان الساحرة للفراقيات والزجل والهجيني، والتي تتجذر بعمق في النسيج الثقافي لوطنها. تروي هذه الأغاني التقليدية الخاصة بمناطق مثل الرقّة والحسكة ودير الزور حكايات الحصاد والأعراس والمناسبات الحزينة، وتعدّ بمثابة انعكاس للأفراح والأحزان الجماعية. ورثت سمية موهبتها الموسيقية من والديها وأجدادها، وهي تحافظ بشغف على هذه الألحان وتنقلها إلى الأصدقاء والعائلة. ويمتدّ التزامها بالتقاليد إلى الحفاظ على لهجة الفرات، وإثراء الإرث الثقافي لمجتمعها وسط تحديات النزوح.

رفعت محمود – عازف ناي

رفعت محمود هو عازف ناي شاب من إدلب في سوريا ويقيم في بر إلياس. يُحيي بأدائه الألحان الساحرة للفنّ الشعبي والزجل والهجيني والفراقيات. تجسّد مسيرة رفعت الموسيقية النسيج الغني للتقاليد الشعبية، متناغمة مع إيقاعات الأعراس والمناسبات الدينية. وتمتدّ مهارته إلى صناعة الطبلة والناي والمزمار والكاتم والطبل، ممّا يضمن استمرارية التراث الموسيقي للأجيال القادمة. إنّ شغف رفعت بالحفاظ على إرثه الثقافي واضح، حيث يسعى إلى إبقاء ألحان سوريا والعراق ولبنان والأردن وفلسطين حيّة من خلال عروضه.

رضية بشير الشيخ – مغنّية

رضية بشير الشيخ هي عاملة زراعية في الثلاثينيات من عمرها من دير الزور في سوريا، وتقيم في بر الياس. تعدّ وصيّة على الزجل التقليدي الذي يرمز إلى التراث الثقافي للمنطقة الشرقية. تتناغم عروض رضية الغنائية التي تعكس إيقاعات الحصاد والأعراس والمناسبات المهيبة مع التجارب الجماعية لمجتمعها. وعلى الرغم من التحديات التي تفرضها التأثيرات الحديثة، تظلّ رضية ثابتة في التزامها بالحفاظ على إرث أسلافها، ونقل فن الزجل إلى الأجيال القادمة. تعدّ قصائدها المتجذرة في لهجة الفرات شهادة على الروح الدائمة للثقافة البدوية في مواجهة التغيير.

زاهية درك المحمد – مغنّية

زاهية درك المحمد هي ربّة منزل في منتصف العمر من دير الزور في سوريا وتقيم في بر الياس. تعدّ وصيّة على تقاليد الزجل الشاوي المتجذّرة في التراث الثقافي للمنطقة الشرقية. إنّ عروض زاهية الغنائية المتشابكة مع موضوعات الحصاد والأعراس والفراق تجسّد جاذبية الشعر الشعبي. ورثت زاهية قصائدها عن أسلافها، حيث تتناغم مع الغنى اللغوي للّهجات الشاويّة والبدوية مجسّدة جوهر الاستمرارية الثقافية عبر الأجيال.

صانعو الآلات الموسيقية

لا يزال هناك إرث رائع من المهارات الحرفيّة في مخيّمات اللاجئين السوريين في لبنان على الرغم من تحديات النزوح. حيث يواصل الحرفيّون من أمثال حمود المحمود ورفعت المحمود وفراس المحمود وأحمد دعاس فرج مزاولة حرفهم التقليدية داخل المجتمع المؤقت في بر إلياس، ويحافظون على فنّ صناعة الآلات الموسيقية. إنّ التزامهم في حرفتهم يعدّ شهادة على صمود الروح البشرية في وجه المحن، حيث يعكسون التقاليد القديمة ويقدّمون مظهراً من مظاهر الاستمراريّة في عالم يتّسم بالاضطرابات.

أحمد دعاس فرج - صانع ربابة وطبل

أحمد دعاس فرج هو حرفيّ متعدد المواهب من ريف دمشق في سوريا، يقيم في بر الياس، ويجسّد التقليد الغني لصناعة الربابة والطبلة. وبفضل نسب أحمد وإرثه العائلي الذي ورثه عن الأجيال الماضية، فإنّ خبرته في

كلتا الآلتين تعكس فهمه العميق لأهميّتهما التاريخيّة. يُصنّع أحمد كل ربابة وطبل بعناية فائقة من الصفر، حيث يجلب المواد مثل الخشب وجلد الماعز والبلاستيك من متاجر النّجارة والخيوط المحلية، ممّا يضمن الأصالة والجودة.

على الرغم من التحديات التي يفرضها النزوح وتغيّر ديناميكيات السّوق، يظلّ أحمد ثابتاً في التزامه بالحفاظ على هذا التقليد العريق. وينقل أحمد معرفته إلى أفراد عائلته والحرفيّين الطموحين، ممّا يضمن استمرار ازدهار فنّ صناعة الربابة والطبل. كما يتجلّى صمود أحمد وهو يواجه تراجع المبيعات، ممّا يعدّ شهادة حيّة على روح الحرفيّة المتجذّرة رغم التحديات. إنّ تفانيه في الحفاظ على هذه الآلات ونقل مهاراته يعدّ مساهمة أساسية في الإرث الثقافي لمجتمعه ولغيره من المجتمعات.

فراس المحمود – صانع طبل

فراس المحمود هو حرفيّ ماهر في صناعة الطبول من مدينة إدلب السورية، ويقيم في بر الياس. يجسّد فراس قدرة الروح البشرية على الصمود في مواجهة الشدائد. وبفضل شغفه بحرفته وتفانيه في الحفاظ على التقاليد، يحمل فراس إرثاً توارثته الأجيال من عائلته وشاركه مع أحبّائه. وعلى الرغم من التحديات التي يفرضها النزوح في مخيّمات اللاجئين السوريين في لبنان، فإنّ فراس يصنع كل آلة طبل بعناية ودقّة، مستخدماً مواد مثل الخشب وجلد الماعز والأغنام والبلاستيك. ويظهر التزامه بالابتكار جليّاً من خلال دمجه القوالب الجاهزة في عمله الحرفيّ، ممّا يضمن الكفاءة دون المساومة على الجودة.

لكنّ فراس يواجه الواقع القاسي المتمثّل في انخفاض المبيعات، وهو تذكير بمدى هشاشة الحِرف التقليدية في عالم دائم التغيّر. وعلى الرغم من ذلك، إنّ التزامه الثابت تجاه حِرفته والحفاظ على فنّ صناعة الطبل لا يزال جليّاً. إنّ صمود فراس يعدّ شهادة على روح الحرفيّة المستمرّة حيث يواصل صناعة هذه الآلات الجميلة وسط المحن، محافظاً على استمراريّة هذا التقليد.

حمود المحمود – صانع ربابة

حمود المحمود هو صانع ربابة متمرّس من إدلب في سوريا ويقيم في بر الياس. يجسّد حمود تقليداً يمتدّ عبر أجيال ويتمتّع بخبرة تزيد عن خمسين عاماً. إنّ إتقان حمود للربابة متجذّر بعمق في التّراث العائلي الذي انتقل من والده وشاركه مع أفراد العائلة والأصدقاء. ورغم التحديات التي يواجهها في مخيّمات اللاجئين السوريين في لبنان، يظلّ حمود ثابتاً في التزامه بحرفته. يقوم بصناعة كل ربابة بعناية فائقة من الصفر باستخدام مواد محليّة مثل الخشب وشعر الخيل والجلد. ولكنّه يأسف لانخفاض الطلب على آلاته نتيجة لتغيّر ديناميكيات السوق. ومع ذلك، وفي خضمّ هذه التحديات، تبرز قدرة حمود على الصمود حيث تتجلّى روح الحرفيّة الدائمة في مواجهة المحن.

رفعت المحمود – صانع ناي

في مجتمع مخيّمات بر الياس الصاخب، يقوم رفعت المحمود بإحياء التقاليد القديمة لصناعة الناي. إنّ مسيرة رفعت كصانع ناي تعجّ بالإرث العائلي الذي ورثه عن والده وانتقل إلى أقاربه ومعارفه. يتمتّع رفعت بعين ثاقبة تهتمّ للتفاصيل، حيث يقوم بتصميم كلّ ناي بدقة وعناية باستخدام قصب قاع النهر الذي يتمّ الحصول عليه من الطبيعة المحلية. ورغم التحديات التي يفرضها النزوح وتقلّبات السوق، فإنّ التزام رفعت بالحفاظ على هذا التقليد الخالد لا يزال ثابتاً. ولكن مثل العديد من الحرفيّين في المنطقة، يواجه رفعت واقعاً مؤلماً يتمثّل في انخفاض المبيعات، ممّا يعكس المشهد المتغيّر للحرف اليدوية التقليدية في عالم سريع التطوّر.

ب. سوريا

ب.1. ريف حماة ومدينة سلميّة

خصائص المجتمع

تتميّز منطقة ريف حماة في سوريا بثرائها الجغرافيّ والسكاني. تقع مدينة سلّمية على بُعد 30 كم إلى الشرق من مدينة حماة وتعدّ مركزاً بارزاً في المنطقة. وتقع بلدة بري شرقي وهي بلدة مركزية في ناحية بري شرقي على بعد 15 كم إلى الشرق من مدينة سلمية.

وبحسب تعداد السكّان لعام 2004، بلغ عدد سكّان مدينة سلّمية 116 ألف نسمة، وارتفع إلى 130 ألف نسمة بحلول عام 2017. وكان هذا النموّ بسبب تدفّق نحو مئة ألف نازح بحثاً عن ملاذ في المدينة. وبلغ عدد سكّان بري شرقي حوالي 7700 نسمة في عام 2011، لكنّ هذا العدد ارتفع منذ ذلك الحين إلى حوالي 14 ألف نسمة في عام 2022، على الرغم من أنّ التقديرات المحليّة قد تختلف.

يتميّز اقتصاد ريف حماة بالتنوّع حيث يعمل موظّفو القطاعين العام والخاص في مهن مختلفة، كما تتواجد في المنطقة العديد من الأنشطة الصناعية مثل تجفيف البصل وحلج القطن ومصنع سجاد حكومي. كما تبرز الزراعة بما فيها الزراعة المرويّة والبعليّة مع زراعة المحاصيل مثل القطن والحبوب والبطاطس والعنب والمشمش والتفاح والزيتون. وتساهم تربية الماشية والتجارة وعمل المياومة في تعزيز اقتصاد المنطقة، ممّا يبرز قدرة المجتمع المحلي على الصمود في مواجهة التحديات.

يحظى التعليم في مدينة سلمية بأهمية كبيرة، حيث يوجد بها مدارس ابتدائية ومتوسطة وثانوية. بالإضافة إلى ذلك، تضمّ جامعة حماة الحكومية كليّتين وهما الهندسة الزراعية والعمارة. كانت المنطقة تتميز بمعدل أمية منخفض قبل الحرب، ممّا كان يشكّل مصدر فخر محلي.

بشكل عام، تعتبر منطقة ريف حماة في سوريا منطقة غنيّة بتنوّعها الجغرافي والسكّاني والأنشطة الاقتصادية والفرص التعليمية. ولكنّ مدينة سلمية واجهت العديد من التحديات في مجال الخدمات الأساسية بعد النزاع. وتشمل هذه العوامل ارتفاع مستويات الفقر والانقطاع عن الدراسة وعمالة الأطفال، وهو ما ساهم في ارتفاع معدّل الأميّة لتكون ما بين 80% و90%. كما تعاني المنطقة من انقطاع التيار الكهربائي، حيث لا تتوفر سوى ساعتين من الكهرباء يومياً، ممّا يدفع العديد من السكان إلى الاعتماد على الألواح الشمسية. كما تتوفر خدمة الاتصال بالإنترنت ولكنّها رديئة الجودة، ممّا يعكس مشاكل أوسع نطاقاً في سوريا. بالإضافة إلى ذلك، فإنّ ندرة الموارد المائية التي تفاقمت بسبب الجفاف تعني أنّ سكان مدينة سلمية لا يحصلون على المياه إلا مرّة واحدة في الأسبوع، وغالباً ما يعتمدون على خزانات كبيرة للتخزين.

يتميّز النسيج الثقافي في سلّمية بتنوّع العشائر مثل عشيرة الجندي والمير والماغوط وغيرها. وتشكّل الاحتفالات الدينية والاجتماعية جزءاً لا يتجزأ من تقويم المجتمع ممّا يعكس التقاليد السورية الأوسع. تتمتّع مدينة سلمية الواقعة في ريف حماة في سوريا بتاريخ عريق يمتدّ إلى العصور القديمة، وقد تشكّلت من حضارات آرامية وآشورية وكلدانية وأوغاريتية. كما تحمل المدينة إرث الرومان والمسلمين والعثمانيين الذين ساهموا في مزيجها الفريد من التقاليد. وتشير الآثار الرومانية إلى تأثيرهم المعماري، في حين تعكس المساجد بصمات إسلامية، وتَظهر الأنماط العثمانية في كلّ من الإدارة والعمارة، ويتداخل كلّ ذلك مع العادات المحليّة ليشكّل مزيجاً ثقافيّاً متنوعاً.

تتمتّع مدينة سلّمية بمناخ معتدل يدعم الزراعة ويعزّز الروابط من خلال التجارة بين المجتمعات، كما يعمل الزواج المختلط على تعزيز الروابط الاجتماعية. ورغم الصراعات، فإنّ قدرة الناس على الصمود تتجلّى في التزامهم بالحفاظ على الثقافة والتراث. إنّ التعليم أمر أساسيّ للحفاظ على استمراريّة التاريخ وغرس الشعور بالفخر والوحدة بين المواطنين. وقد ساعد هذا الإصرار مدينة سلمية في الحفاظ على تقاليدها القديمة والحديثة، وتجسيد مجتمع حيويّ موحّد.

التقاليد الموسيقيّة

تجسّد الموسيقى في مدينة سلمية الاندماج الثقافي حيث تمزج بين اللهجات والتقاليد البدوية وأنواع الأغاني المتنوّعة مثل التّرانيم الدينية والعتابا الغنيّة بالفلسفة. وتشتهر عائلات مثل عائلة حديد وعثمان وشتيان بأداء العتابا.لا تُعدّ الموسيقى هنا مجرّد وسيلة تعبير فنيّ بل هي ممارسة يوميّة ومصدر رزق، حيث تتميّز بآلات تقليدية مثل العود والبزق والربابة التي تعود أصولها إلى إيقاعات قديمة. يصنع الحرفيّون المحليّون في سلمية وبري شرقي هذه الآلات بمهارة فائقة، مستخدمين مواد متنوّعة مثل الخشب والقصب وجلود الحيوانات.

وعلى الرّغم من إتقان الحرفة، فإنّ من يتّخذ من هذا الفن مصدر رزق يواجه تحديات، حيث أنّ الطلب على هذه الآلات المتخصّصة يظلّ محدوداً.

الفنّانون

ننطلق في هذا الجزء في رحلة شيّقة لاستكشاف حياة وأعمال الموسيقيين الموهوبين في مدينة سلمية، الذين يقومون بإحياء الفولكلور وموسيقى الطرب في المنطقة. يقدّم كل فنان منظوراً فريداً مستلهِماً من الإيقاع المتناغم للحياة اليومية والنسيج العريق لتاريخ سلمية. يعدّ هؤلاء الفنانون أوصياء على الإرث الموسيقي للسلمية من خلال عروضهم الآسِرة وبراعتهم الفنية، حيث يضمنون أن تتردّد أصداء ألحانها عبر الأجيال.

عمّار علي جمّول – عازف إيقاع

عمار علي جمول هو طالب شاب في كلية الموسيقى وموسيقيّ مقيم في سلمية. يتخصّص في أغاني الطرب العربي والأغاني الفلكلورية الخاصّة بمدينة سلمية، والتي يؤديها غالباً في المناسبات الخاصة والاحتفالات. تعلّم عمار الموسيقى في معهد للموسيقى، ويعزف على الطبلة بشكل أساسي مصحوباً بالعود أو الأورغ. تتميّز عروضه بموضوعات وكلمات متنوّعة في الغالب بلهجة مدينة سلمية، حيث يعرض مزيجاً من المؤلفات القديمة والجديدة.

أمين محمد عثمان مغربيّة – مغنّي

أمين محمد عثمان مغربية هو مغنّي وعازف ربابة في منتصف العمر، يقدّم موسيقى شعبيّة خاصة بالمنطقة وغالباً ما يتمّ أداؤها في حفلات الزواج والمناسبات الخاصة والاحتفالات. ورث أمين مواهبه الموسيقية من عائلته وبالأخصّ من والده، ويعزف على الربابة التي تعدّ آلة شائعة في سلمية. وبينما يتمّ العزف على الربابة في مناطق ودول أخرى، فإنّ عروض أمين تتضمّن مقامات فريدة مثل الحجاز والصبا والبيات والسيكا مصحوبة بكلمات باللّهجة المحليّة. وتتناول أغانيه موضوعات مختلفة وتتميّز في الغالب بكلمات قديمة.

أيمن أحمد كحيل – عازف ربابة

أيمن أحمد كحيل هو موسيقيّ متخصّص في الموسيقى ذات الطابع الشرقي. تتميّز عروضه باستخدام اللهجة المحليّة للمنطقة ويتمّ أداؤها خصيصاً في المناسبات الخاصة والاحتفالات. تعلّم أيمن الموسيقى عبر جهده الشخصي ومرافقة الرّاحل محمد صادق حديد. يعزف أحمد بشكل أساسي على الربابة التي يجلبها من مدينة سلمية، وتشتمل عروضه على مقامات مثل البيات والصبا والسيك وأحياناً اللامي العراقي. وتتناول أغانيه موضوعات الغزل والفراق والفرح والحزن والحصاد، وغالباً ما تتميّز بمزيج من الكلمات القديمة والجديدة.

حسين محمد مغربيّة – عازف عود

حسين محمد مغربية موظّف ومغنّي متخصّص في الموسيقى الشعبيّة الشرقيّة الخاصّة بالمنطقة، والتي تؤدّى في الأعراس والأعياد والمناسبات الخاصة. ورث حسين مواهبه الموسيقية عن والده، ويعزف بشكل أساسي على العود مصحوباً في كثير من الأحيان بآلة الأورغ والطبل.

مرهف محمود – مغنّي

مرهف محمود حديد هو موظّف حكومي في الثلاثينات من العمر وموسيقيّ ومطرب شعبي. يؤديّ مرهف عروضاً في المناسبات الشعبية والأعراس، وقد يتطلّب أحياناً فرقة موسيقيّة تضمّ آلات مثل الربابة أو الأورغ أو العود. تعلّم مرهف الموسيقى من عائلته وبالأخصّ من عمّه الراحل محمد صادق حديد، لكنّه لم يشرع في تدريس الموسيقى حتّى الآن. يعزف مرهف على الربابة وهو مبتدئ في العزف على العود، وهما آلتان يمكن

شراؤهما من محلّات التحف القديمة. وعلى الرغم من أنّ مرهف لم يحاول صنع الآلات بنفسه إلّا أنّه يعبّر عن اهتمامه بتعلّم ذلك. تتناول أغانيه موضوعات مثل الغزل والحزن والهجر والفراق، مع كلمات غالباً ما تكون باللّغة العربية وتعود إلى عصر قديم.

نايف مرّة – عازف إيقاع وعود

نايف مرّة هو موسيقي شاب ومغنّي يؤدّي بشكل أساسي الموسيقى الفلكلورية الخاصّة بمدينة سلمية ومناطق أخرى من بلاد الشام والعراق. يقدّم نايف عروضاً في الاحتفالات وأحياناً يكون برفقته فرقة موسيقية تتكوّن من العود والإيقاع أو الأورغ. تعلّم نايف الموسيقى في طفولته وطوّر معرفته الأكاديمية فيما بعد لكنّه لم يمارس التدريس. يعزف نايف على آلات الإيقاع والعود وهي آلات يمكن شراؤها من محلّات في مدينة سلمية. تتناول أغانيه موضوعات مثل الغزل والاحتفالات المبهجة والحزن، مع كلمات غالباً ما تكون باللغة العربية وتعود إلى عصر قديم.

محمد الدين محمد درويش - عازف عود

محمد الدين محمد درويش هو مدرّس متقاعد ومتخصّص في التراث والطرب الخاصّ بمدينة سلمية والنوع الشعبي الخاصّ بالمنطقة. تعلّم محمد الموسيقى عبر جهده شخصي ومن خلال زملاء له مدرّسين للموسيقى. يعزف بشكل أساسي على العود وهي آلة موسيقية منتشرة في مناطق ودول أخرى أيضاً. تتضمّن عروضه كلمات باللّهجة المحليّة وتتناول موضوعات الغزل والحب والاحتفالات المبهجة والتي تتكوّن في الغالب من كلمات تعود إلى العصر القديم.

ناقد يوسف رحمة - عازف ربابة

ناقد يوسف رحمة هو صانع آلات شعبيّة في الثلاثينيات من العمر وموسيقيّ ومغنّي. يتخصّص في تراث مدينة سلمية ويشتهر بشكل خاص بصناعة الآلات الموسيقية مثل الربابة والمجوز. تعلّم ناقد الموسيقى من عائلته وهو يصنع الآلات الموسيقية بنفسه ممّا يضمن الجودة والأصالة. تتضمّن عروضه موضوعات الحب والغزل والتجارب الإنسانية.

ندى مصطفى الحركا – عازفة عود

ندى مصطفى الحركا هي شابّة تخرّجت من تخصّص التخدير، وهي متخصّصة في تراث مدينة سلمية والموسيقى الطربيّة وتقدّر أهميتها الثقافية. تعلّمت ندى العزف على العود والبيانو في طفولتها، وواصلت تطوير مهاراتها في المدرسة ومن خلال انضمامها إلى فرقة مدينة سلمية لإحياء التّراث. أمّا مواضيعها المفضّلة في الأغاني فتشمل الغزل والحب والاحتفالات المبهجة.

نزيه عيسى – عازف ربابة

نزيه عيسى هو مدرّس موسيقى وعازف وصانع آلات موسيقية، وهو متخصّص في الموسيقى الشعبيّة والطربيّة الخاصّة بمدينة سلمية مثل النايل والعتابا والسويحلي. يقوم نزيه بتصنيع الآلات الموسيقية مثل الربابة والعود بنفسه ممّا يضمن الجودة والأصالة. تتضمّن عروضه موضوعات تختلف حسب الأغنية، وتتميّز في الغالب بكلمات من العصر القديم بلهجة مدينة سلمية.

رحيم غزوان شيخ ابراهيم – عازف إيقاع

رحيم غزوان شيخ إبراهيم هو طالب شابّ في معهد البترول وعازف إيقاع. يعزف موسيقى شرقيّة ذات طابع خاصّ بالمنطقة ويتمّ أداؤها في الاحتفالات عند الطلب. تعلّم رحيم الموسيقى بجهده الشخصي، وهو يعزف على آلة الطبلة التي ورثها عن والده. وتتضمّن عروضه أنماطاً إيقاعيّة موجودة في إيقاع اللفّ والبلدي، مع مزيج من الكلمات القديمة والجديدة بلهجة مدينة سلمية.

صانعو الآلات الموسيقيّة

إنّ إرث الحِرفيّة الفريد في مدينة حماة السوريّة لا يزال قائماً على الرغم من التحديات الاجتماعية والاقتصادية المختلفة. ويجسّد الحرفيّون من أمثال ناقد يوسف رحمة من ريف حماة روح التقاليد والصمود من خلال إتقانهم لصناعة الآلات الموسيقيّة التقليديّة. وعلى الرّغم من الاضطرابات التي سبّبتها الحرب والهجرة، يواصل هؤلاء الحرفيّون الحفاظ على الأساليب القديمة، ممّا يضمن استمراريّة التراث الثقافي الغنيّ لسوريا. دعونا نتعمّق في قصص هؤلاء الحرفيّين الذين يُحيون ألحان بلادهم العذبة من خلال تفانيهم وفنّهم.

ناقد يوسف رحمة - صانع ربابة

يمثّل ناقد يوسف رحمة سلالة صانعي الآلات الموسيقيّة التقليديّة من ريف حماة في سوريا. تكمن خبرته في صناعة الربابة، وهي آلة متجذّرة عميقاً في الفولكلور السوري. وبفضل فهمه العميق لطريقة صنع الربابة، يقوم ناقد بتصميم كلّ آلة بعناية من الصفر باستخدام مواد محليّة المصدر مثل خشب الزان وجلد الماعز وشعر ذيل الحصان من مدينة حماة. ورغم التحديات التي يواجهها في المبيعات، يظل ناقد ثابتاً في التزامه بالحفاظ على هذا التقليد القديم. فهو ينقل معرفته إلى الحرفيّين الطموحين، ممّا يضمن استمرار إرث الربابة للأجيال القادمة.

كما يشتهر ناقد يوسف رحمة بإتقانه لصناعة المزمار والمجوز، ويواصل تقاليد حرفته بتفانٍ لا يتزعزع. ينحدر ناقد من ريف حماة في سوريا وتشمل مهارته الحرفيّة الصناعة المعقّدة لآلة المزمار، حيث يتضمّن المزمار عناصر مثل الجسم والدوران والدعامة/القصبة. يشكّل القصب الذي يتمّ إحضاره من طرابلس وخيوط الحرير التي يتمّ إحضارها من مدينة حماة أساس هذه الآلة، ممّا يعكس اهتمام الحرفيّ الدقيق بالتفاصيل. وعلى الرغم من انخفاض المبيعات، يظلّ شغف ناقد بحِرفته ثابتاً حيث يواصل مشاركة الألحان المؤثرة للمزمار مع الجمهور في جميع أنحاء العالم.

ب2. قرية طبكة، القامشلي

خصائص المجتمع

يوجد مجتمع الكوچر في سوريا ضمن حدود قرية طبكة في القامشلي، ويمثّل انعكاسا لسلالة الأسلاف المتنقّلين من الأكراد الرحّل. في البداية، كان متجذّراً في أرض إمارة بوهتان التاريخية التي كانت تقع في كردستان في القرن التاسع عشر، وهي منطقة كرديّة تاريخية وثقافية تمتدّ عبر العراق وتركيا وإيران وسوريا. وبعد فشل ثورة الشيخ سعيد بيران ضدّ الجمهورية التركية حديثة النشوء (1925)، استقرّ مجتمع الكوچر في العديد من القرى السورية بما فيها قرية طبكة.

شهد المجال الاقتصادي داخل مجتمع الكوچر تحوّلاً مستمراً. حيث تنوّعت سبل عيشهم الأوّلية كرعاة بسبب تشتّت العشائر في مناطق مختلفة، ممّا أدى إلى زيادة التركيز على الزراعة وتربية الماشية والتكيّف التدريجي مع الحياة الرعويّة – مشكّلاً فسيفساء اجتماعية واقتصادية فريدة. وفي الوقت الحاضر، انخرط العديد من أفراد العشائر في قطاعات مختلفة، بما في ذلك العلوم الطبيّة والبحث الأكاديمي والهندسة وغيرها؛ في حين كان البعض منهم رائدين في المساعي التجارية أو عملوا في مؤسسات مثل الإدارة الذاتية لإقليم شمال وشرق سوريا، ممّا يؤكد تقدّمهم عبر الزمن.

إنّ النّظر في التطوّرات الخاصة بالتعليم داخل مجتمع الكوچر يشير إلى تغييرات جديرة بالملاحظة. فقبل الاختلافات النّاجمة عن تصاعد حالات الصراع، كان التعليم الذي يركّز على اللغة العربية والذي أقرته الحكومة السورية سائداً، ثم تحوّل إلى أساليب التعلّم القائمة على اللّغة الكردية ممّا أدى إلى ارتفاع معدّلات الأميّة إلى ما يقرب من 80٪. وفرضت هذه الحالة تحديات كبيرة على أعضاء المجتمع الراغبين في تعزيز مكانة اللّغة الكرديّة مقابل هيمنة اللغة العربية السائدة خاصة في الخطاب الرسمي.

تتوفّر الخدمات الأساسية مثل شبكات إمدادات المياه والوصول المستمر إلى الكهرباء بالإضافة إلى اتصال الإنترنت المستقرّ في جميع أنحاء قرية طبكة، على الرغم من أنّ الكثافة السكّانية في المنطقة شهدت انخفاضاً ملحوظاً نتيجة للجفاف الذي حدث في عام 2004، تلاه أحداث لاحقة منذ عام 2011 أدّت إلى نزوح ملحوظ خاصة بين الشباب الذكور، ممّا أثّر على التوازن بين أعداد الجنسين وبرّر التغيّرات الديموغرافية العامّة التي واجهتها المناطق التي تعيش فيها الجماعة بشكل جماعيّ، مُشكّلة نسيجاً اجتماعياً يُعرف باسم "الكوچر."

تحتلّ الاحتفالات الثقافيّة مكانة بارزة ضمن مجتمع الكوچر في قرية طبكة السورية. فالاحتفالات الرئيسية مثل عيد الأضحى وعيد الفطر لا تمثّل رمزيّة عميقة لهذه القرية فحسب، بل إنّها تعكس أيضاً التقاليد السورية الأوسع نطاقاً. وتشتمل أبرز فعاليات الاحتفال على رقصات الدّبكة الحركيّة والألحان التقليديّة التي تساهم في خلق جوّ من البهجة وتؤكد على ثقافة المجتمع التي تنضح بالحيوية والمثابرة.

في الماضي، كانت هناك قبيلة تُدعى "المطربين" وكانوا نشطين موسيقيّاً في المجتمع. كانوا يعزفون الموسيقى الشعبيّة باستخدام الداهول والزُرنة مقابل القمح أو المال. ولكنّ سلوكهم لم يَلقَ قبولاً واسع النطاق من باقي أفراد المجتمع، ممّا أدى إلى ظهور فكرة القيود المجتمعيّة، حيث منعت الأسر أبناءها من تعلّم الموسيقى خوفاً من التشبّه بـ"المطربين". تمّ حلّ القبيلة لاحقاً واندماج أفرادها في المجتمع.

على الرغم من مواجهة صعوبات خارجية كبيرة، فإنّ مجتمع الكوچرصمد صموداً استثنائياً حيث يجد أفراده الرّاحة في أشكال متنوّعة تشمل الجلسات الاحتفالية واللقاءات العفوية والابتهاج بمُتع الحياة اليومية؛ ممّا يعكس روحاً لا تُقهر وقدرات تكيّفية وقدرة على العثور على السعادة حتى في أصعب الظروف.

إنّ الأصول التاريخية لشعب الكوچر تأثّرت بأشياء عديدة بما فيها الزرادشتية والديانات الإيزيدية، إلى جانب الهجرة الناجمة عن التغيرات الجيوسياسية مثل معاهدة سايكس بيكو. ويتجسّد هذا الإرث العظيم في لهجتهم المميّزة الممزوجة بسمات معروفة من الكرم والتواضع التي تميّزهم بشكل فريد. وقد تداخلت الدروس المشتركة من التاريخ في نسيج مجتمعهم عبر الزمن، ممّا جعله مرناً وقادراً على التكيّف مع الاحتفاظ بهويّته الثقافية الأصيلة.

يتميّز المناخ الإقليمي بتغيّرات موسميّة واضحة، ممّا يوفر بيئة طبيعية تعزّز العادات الأساسيّة لنمط الحياة البدوي الذي يتبعه مجتمع الكوچر وسط الطبيعة السورية؛ فهو يجسّد التفاعل المتناغم بين التقاليد البشرية التي تتطوّر بالتوازي مع الدورات المتجدّدة للطبيعة نفسها.

التقاليد الموسيقية

تتداخل الموسيقى مع الحياة اليومية للسكّان في الفلكلور الكردي لقرية طبكة. إنّ الدهول وهو نفس آلة الطبل، والزُرنة (المزمار) هما آلتان تعكسان تقاليد مجتمع الكوچر. في الماضي، كان العزف على الداهول والزُرنة يعدّ مصدر رزق رئيسي، ولكن مع مرور الزمن حدثت تحوّلات في العصر الحديث وانخرط الموسيقيون في وظائف متنوّعة لتأمين أرزاقهم. وغالباً ما تكون هذه المهنة موروثة تنتقل من الآباء إلى الأبناء ومحاطة بالعار والمحظورات المجتمعية. ومع مرور الوقت، زاد القبول لها ممّا أدى إلى تراجع المحرّمات الدينية رغم أنّ بعض البقايا لا تزال قائمة. إنّ علاقة الكوچر بالأرض والفصول ترتبط بأغانيهم التي تتنوّع بين ألحان الحصاد وطقوس مثل الكرافت والزيوا. ولعبت الآلات التقليدية مثل الداهول والزُرنة والكمنشة دوراً محورياً في الاحتفالات التي تطوّرت لتشمل الآلات الحديثة مثل الأورغ والجيتار. لكن ثمّة تحديات في تصنيع هذه الآلات محلياً ولذلك يتمّ استيرادها من تركيا. وتعكس الزُرنة المصنوعة من خشب المشمش أو الجوز التقاليد الغنيّة لمجتمع الكوچر.

الفنّانون

إنّ الفنّانين المذكورين أدناه يُجسّدون التفاني العميق في الحفاظ على الثقافة الكردية وتعزيزها من خلال موسيقاهم. حيث تعكس مسيرة كل فنان ارتباطاً عميقاً بتقاليد وطنهم يصاحبه التزام بعرض غنى التّراث الكردي لجمهور عالمي.

تمتدّ جهودهم الجماعية عبر الأجيال، حيث ينقلون معرفتهم ومهاراتهم للفنّانين الطموحين، ممّا يضمن استمرار حضور الموسيقى الكرديّة لسنوات قادمة. وهم يضفون حيوية على الأغاني والأنغام التقليدية من خلال العروض في الأعراس والفعاليات الثقافية والجلسات، حيث يأسرون الجمهور بعروضهم التعبيرية وسردهم الديناميكي للقصص.

علاوة على ذلك، فإنّ مشاركتهم الفعّالة في إنتاج وتنشيط الأغاني التقليدية تؤكّد التزامهم الثابت بالحفاظ على الفلكلور الكردي. كأوصياء على إرثهم الثقافي، يلعب هؤلاء الفنانون دوراً محورياً في تشكيل سرديّة الهويّة الكردية من خلال الموسيقى، ممّا يعزز الشعور بالفخر والانتماء بين الأكراد في جميع أنحاء العالم.

سردار برجس مسيليخ – مغنّي

سردار برجس مسيليخ المعروف باسمه الفنيّ سردار باروجي، هو فنّان في منتصف العمر وعضو في نقابة الفنّانين في روجافا (جنوب كردستان). ينحدر سردار من منطقة قره جوخ وهو متجذّر بعمق في التقاليد الثقافية لوطنه. في كردستان، توجد اختلافات في الممارسات الموسيقية عبر الأديان المختلفة، حيث تُعتبر بعض الآلات والكلمات حصريّة لبعض الجماعات الدينية. يتذكّر سردار وجود الفرق الموسيقية في الماضي، خاصة خلال المولد النبوي الشريف حيث كانت الفرق تردّد المدائح النبوية. وخلال النوروز أو عيد رأس السنة الكردية، كان سردار وزملاؤه من الموسيقيين يرافقون فرق الرقص بموسيقاهم. إنّ الكوچر مجتمع محدّد داخل كردستان ويتمتّع بأسلوب رقص فريد من نوعه.

بدأت مسيرة سردار الموسيقيّة تحت إشراف والده وجده، حيث كان كلاهما من المغنّين. لعب والده دوراً محورياً في تعليمه تفاصيل فنّ الغناء، بينما علّم سردار نفسه العزف على آلات مختلفة مثل الطنبور والبغلمة والكمبوش والعود. على مرّ السنين، شارك سردار معرفته وخبرته من خلال تعليم الغناء والأروغ والزرنة لعدد كبير من الأفراد، وقد أصبح العديد منهم خرّيجين وفنانين ناجحين. ينحدر سردار من مدينة القامشلي، وتتراوح أسعار خدماته الموسيقية بين 200 و300 دولار. وهو بارع في إصلاح الآلات الموسيقية وصناعة الآلات. ويشمل أسلوب سردار الموسيقي العديد من المقامات، بما فيها مقام البيات والحجاز والعجم والكرد. إنّ الأغاني الشعبية الكردية تُغنّى في الغالب باللغة الكرديّة، على الرّغم من أنّ بعض الأغاني تتضمّن كلمات تركية وفارسية وعربية.

شفان شكري ميكائيل – مغنّي

شفان شكري ميكائيل المعروف باسمه الفنّي شفان جزيري، هو موسيقي في منتصف العمر ومؤلّف وكاتب كلمات ومقدّم برامج إذاعية، ويقيم في ديرك في عفرين الواقعة ضمن منطقة الشام في كردستان العراق. تطوّر مسار شفان الموسيقي عبر الزمن، حيث انتقل من غناء أنواع موسيقية متنوّعة إلى التركيز على نوع موسيقي خاصّ بالثقافة الكرديّة. يعتقد شفان أن النّوع الموسيقي الكردي يعتمد بشكل كبير على تقنيات الحنجرة والنّطق،

ممّا يميزه عن الثقافات الأخرى. ويقرّ شفان بغنى الثقافة الكرديّة وتراثها الذي يعدّ مصدر إلهام مستمرّ لمشاريعه الموسيقية.

يتخصّص شفان في غناء نوع موسيقي من منطقة بوطان ويمكن العثور عليه أيضاً في سرحد. تكمن خصوصيّة أسلوب شفان في غنائه بدون موسيقى (الأكابيلا) والسّرد من خلال الأغاني، ممّا يتيح له جذب الجماهير بأدائه التعبيري.

يدرك شفان اتّساع الثقافة الكردية التي تضمّ أغاني لكلّ مناسبة. ولكن لا تزال هناك العديد من المناسبات التي يزدهر فيها الفولكلور الكردي، مثل الفترة التي تسبق العطل وقبل شهر رمضان وخلاله وفي مختلف الفعاليات الثقافية. في الآونة الأخيرة، تمّ إدخال بعض الآلات مثل الأورغ والطنبور في العروض الفولكلورية الكرديّة.

بدأت مسيرة شفان الموسيقية في عام 1988 عندما كان والده عازف طنبور في الفرق الموسيقية. بدأ شفان عزف الطبلة وهي آلة إيقاعيّة لمرافقة عروض والده. ومن خلال الملاحظة الدقيقة والدراسة الأكاديمية، تعلّم شفان عزف الطنبور بنفسه. في عام 1995، بدأ شفان مسيرته المهنية في الغناء، حيث عرض براعته الصوتية وشغفه بالموسيقى الكردية.

يشارك شفان معرفته ومهاراته كموسيقي ذي خبرة من خلال تدريس الآلات الموسيقية والغناء وتقنيات الصوت في معهد "كوما ألفتريا" و"كوما آفا شين". وتتّسع خبرته لتشمل عزف آلات مثل العود والطنبور والآلات الإيقاعية المختلفة والدف والكمنشة ، حيث يُعتبر الطنبور آلته الرئيسية. ورغم أنّ الطنبور ليس حكراً على منطقة شفان، إلا أنّه موجود على نطاق واسع حيثما يقيم الأكراد، مع اختلافات طفيفة في حجم الجسم وتصميم العنق.

يجلب شفان معظم آلاته من تركيا ثمّ العراق، ومؤخّراً يجلبها من داخل المناطق الكرديّة على الرّغم من أنّ لديه مهارات إصلاح الآلات الموسيقية. وهو يعزف العديد من المقامات مثل البيات والعجم والحجاز والكرد. لكنّ الصوت الإيقاعي يبقى ثابتاً وخاصة في نمط إيقاع افرنجي/جورجينا. ويبرز شفان أهمية الإيقاع في الفولكلور الكردي، حيث يعتبر بروتا إيقاعاً يمكن الرقص عليه فقط بناءً على أصوات المغنيين.

سعديّة محمد سليم مصطفى (يادي سعاد) – مغنّية

تُعرف باسمها الفنّي يادي سعاد أو الأمّ سعاد، وهي فنّانة موهوبة وعضو في مجلس عائلات الشهداء في ديرك. تتمتّع بخبرة تزيد عن خمسين عاماً، وقد كرّست حياتها للحفاظ على التراث والثقافة الكردية وتعزيزهما. ولدت ونشأت في عين ديوار في ديرك، وكانت جزءاً لا يتجزأ من المجتمع لمدّة نصف قرن.

تتخصّص يادي سعاد في الأسلوب الغنائي "الدنجبيجي" الذي يشمل أنواعاً مختلفة من الأغاني التي تُغنّى وفقاً لمناسبات مختلفة. يمكن العثور على هذه الموسيقى التقليدية في جميع المناطق الكردية، لكن اللهجة والنطق يختلفان حسب المنطقة المحدّدة. يصبّ التركيز في بوطان على الكلمات والنّطق، ممّا يخلق تجربة موسيقية فريدة من نوعها.

طوال مسيرتها المهنية، شهدت يادي سعاد على التغييرات التي حصلت في الأنواع الموسيقية، وخاصة في منطقة بوطان، حيث كانت الأغاني تتكيّف مع المواسم أو أنشطة الرعي. وللأسف اختفت بعض المناسبات التقليدية مثل حفلات الزواج وجلسات الحنّاء وطحن القمح عبر الزمن، إلا أنّ يادي سعاد وغيرها من الفنانين يسعون إلى إعادة إحياء هذه المناسبات من وقت لآخر للحفاظ على أهميّتها الثقافية.

رغم أنّ يادي سعاد قادرة على الغناء بشكل فرديّ، إلا أنّها تعتقد أنّ جمال الأسلوب الغنائي "الدنجبيجي" يظهر بشكل أفضل من خلال الثنائيّات أو المجموعات التي تتناوب الأدوار في الغناء، ممّا يخلق أداءً متناغماً وديناميكياً. بدأت مسيرتها كفنّانة في عام 1984 عندما انضمّت إلى حزب العمّال الكردستاني وعانت من خسارة شخصية باستشهاد أشقّائها. خلال ذلك الوقت، كانت تتطوّع في الحصاد وتغنّي مع رفاقها، الأمر الذي أصبح جزءاً مهماً من تعليمها الموسيقي.

إنّ تفاني يادي سعاد في الحفاظ على التراث لا يقتصر على مساعيها الفنية. فعلى الرغم من أنّها لا تقوم بتدريس الآخرين بشكل فاعل، إلا أنّها تشارك الأغاني التقليدية مع الطلاب في جامعة روجافا لتعزيز ارتباطهم بتراثهم الثقافي. يغطي رصيد يادي سعاد الفنّي مجموعة واسعة من الموضوعات بما فيها الحرب ونوم الأطفال وطحن القمح ومختلف المناسبات السعيدة والحزينة مثل حفلات الزواج وجلسات الحنّاء ومجالس العزاء. تُعتبر موسيقاها بمثابة تذكير قوي بالتّراث الكرديّ الغنيّ ومدى قدرة الشعب على الصمود.

حاجي علي موسى – مغنّي

حاجي علي موسى هو فنّان موهوب من منطقة الزهيريّة في ديرك ومسيرته الفنية امتدّت لأكثر من عقدين من الزمن كرّس خلالها حياته لفنّ الموسيقى. عمل حاجي علي موسى الذي يبلغ من العمر 45 عاماً في مهن مختلفة، بما في ذلك حصاد القطن والقيادة. ولكن في عام 2002، أصبح متفرّغاً للفنّ مع التركيز بشكل أساسي على الأداء في الأعراس.

إنّ النوع الموسيقي الذي يؤديه حاجي علي موسى واسع النطاق حيث يشمل الفولكلور والأنماط الحديثة والنمط الجبليّ (الريفي). إنّ منطقة بوطان التي تعدّ مسقط رأسه تُعرف بطبيعتها الجبليّة، ويمتلك جميع المغنّين فيها القدرة على أداء الأنماط الكردية. ولكن تتميّز موسيقى بوطان بتنوّعاتها الفريدة من حيث النطاقات الصوتية العالية والمنخفضة والتي تتطلّب تدريبًا مكثّفاً لإتقانها. إنّ تنوّع الفنّ والثقافة الكرديّة يشكّل مصدر شعور بالفخر لحاجي علي موسى، حيث أنّ كلّ منطقة تتمتّع بشكلها المميّز من التعابير الفنيّة.

ومن الأغاني المميّزة في منطقة بوطان أغنية "دانجي بيجي" التي يغنّيها جميع الأكراد، لكنّها تحتلّ مكانة خاصة في قلوب أفراد مجتمع الكوچر. يُعرف مغنّو مجتمع الكوچر باستخدامهم المتزامن للصّوتين المنخفض والعالي ممّا يخلق أداءً آسراً ومتناغماً. كما يختلف نطق الكوچر لبعض الحروف عن باقي المناطق مثل كلمة "زوزان" (البراري)، ممّا يضفي لمسة فريدة على موسيقاهم.

يستعيد حاجي علي موسى ذكريات الأغاني القديمة التي كانت تُغنّى في الأعراس لكنّها اندثرت مع الزمن. لكنّه يجتمع مع فنّانين آخرين لإحياء هذه الأغاني التقليدية بشكلها الأصلي. إنّ جمعية باركن لأغاني مجتمع الكوچر و"الدنجبيجي" تلعب دوراً أساسياً في الحفاظ على هذه الأغاني وضمان استمرارية أهميتها الثقافية.

تعتبر حفلات الزواج والجنازات من المناسبات الهامّة التي تجد فيها موسيقى حاجي علي موسى مكانها. وتحتلّ الأغاني الحزينة التي تغنّيها النساء في العزاء، والتّي غالباً ما تغنّيها لأبنائهنّ وآبائهنّ، مكانة خاصة في هذه المناسبات، ويشارك الرجال أيضاً في الغناء وإن كانت مشاركة أقل. كما تضفي موسيقى حاجي علي موسى الحيوية على الأجواء في جلسات الحصاد في الكوج (ديوان، غرفة التجمّع). ويقف المغنّون في صفّين، حيث يبدأ الصفّ الأول الأغنية ويردّ الصفّ الثاني، ممّا يخلق جوًا حيوياً وتفاعلياً.

في الماضي، لم تكن العروض الموسيقيّة في الديوان وجلسات "الدنجبيجي" تتطلّب استخدام الآلات الموسيقية. ولكن إذا وُجد الدفّ (وهو إطار خشبي دائري مغطى بجلد ماعز أو خروف)، كان المغنّون يغنّون بمصاحبة إيقاعه. كانت قوّة صوت المغنّي وحدها كافية لخلق موسيقى آسرة دون الحاجة إلى فرقة أو آلات إضافية. ونظراً لتعقيد أغاني بوطان، كان العديد من المغنّين يتناوبون على الغناء لتجنّب الإرهاق.

بدأت مسيرة حاجي علي موسى الفنية كموهبة منذ الطفولة رغم معارضة بعض أفراد العائلة في البداية. لكن مع مرور الزمن، قدّروا جمال صوته ممّا قادهم إلى تقبّله ودعمه. نقل حاجي علي موسى معرفته الموسيقية إلى طفليه، محمد ونوجدار، اللذين برعا في أداء هذا النوع من الموسيقى. لم يتلقَّ حاجي علي موسى تعليماً رسمياً أو تدريباً في أي مدرسة أو معهد، بل طوّر مهاراته من خلال شغفه وتفانيه.

وفيما يتعلّق بالمقامات الموسيقية، يشعر حاجي علي موسى براحة أكبر في غناء مقام الحجاز والعجم، حيث يناسبان صوته ويسمحان له بتقديم عروض استثنائية. بينما يغني حاجي علي موسى مقامات أخرى أيضاً، إلا أنّها ليست شائعة في رصيده الفني. قد يختلف النطق من منطقة إلى أخرى، لكنّ المقام يبقى نفسه، ممّا يعكس تنوّع الموسيقى الكردية.

خالد علي هادي - عازف متعدد الآلات

محمد علي هادي المعروف باسم خالد علي هادي هو فنّان يبلغ من العمر 38 عاماً ومن مدينة سلوبي في تركيا. يحمل الجنسيّة السورية والتركيّة والإقامة في ألمانيا. يُعرف خالد على نطاق واسع بمساهمته في الحفاظ على الموسيقى التقليدية لبوطان.

يؤكّد خالد علي هادي الذي ينتمي إلى فرقة "جودي" على أهمية معرفة المرء لتاريخه وثقافته. حيث استمع إلى العديد من الفنانين وعرّف فرقته على العديد من الأغاني التقليدية القديمة، وقد اكتسبت فرقته شهرة وإعجاباً واسع النطاق. بدأ شغف خالد بالموسيقى بالغناء في سيارته، ثمّ تعلّم وصقل مهاراته تدريجياً مع مرور الوقت. وقد نقل أيضاً معرفته إلى بناته ليضمن الحفاظ على التقاليد الموسيقية.

يمتلك خالد علي هادي مجموعة تضمّ خمس إلى ستّ آلات موسيقية بما فيها الطنبور والعربانا (وهي نفس الدف) والجيتار والبغلمة. وقد حصل على هذه الآلات من أماكن متعددة مثل تركيا والعراق والقامشلي وديرك.

عند الحديث عن شراء الآلات الموسيقية، يذكر خالد أنّه اشترى طنبوراً من تركيا بتكلفة تتراوح بين مئتين وخمسين وثلاثمئة دولار. في ديرك، يمكن أن يصل سعر الطنبور إلى أربعمئة دولار على الرغم من أنّه يمكن العثور على هذه الآلة بأسعار تصل إلى مئة دولار. وعادةً ما يتمّ شراء هذه الآلات من المتاجر.

إنّ اهتمام خالد بالموسيقى والآلات يعود إلى طفولته حيث كان يحاول صنع الآلات باستخدام مواد بسيطة. بالنسبة لخالد، تستخدم عشيرة الكوجر بشكل أساسي مقاميّ العجم والبياتي. لكنّ بعض الأفراد يغنّون في مقامات العجم والبياتي والحجاز والرست والكرد. كما يلاحظ خالد التشابهات الثقافية بين الأكراد والفارسيين، خاصة عندما يتعلق الأمر بالمقامات.

فيما يتعلق بالإيقاع، يذكر خالد أنّ القالب الموسيقي حيرانوك يفتقر إلى إيقاع محدّد، بينما يتبع بيرويتا إيقاعاً صعباً هو 10/8 و8/6. وتستخدم عشيرة الكوجر إيقاع جورجينا كما هو في أغنية "أز خلفم". يتميّز إيقاع شيخاني ببعض الإيقاعات المتقطّعة أو غير المنتظمة مع عدم معرفة خالد بأسمائها على وجه التحديد. ورغم اعترافه بمعرفته المحدودة بالإيقاع، إلا أنّه يعترف بأهميته في الموسيقى.

إنّ الأغاني التي يؤديها خالد علي هادي هي في الغالب باللهجة الكوجرية الكردية الأصلية، والتي تتميّز بنطق فريد من نوعه وهو ابتلاع حرف الـ (ر). تظلّ هذه اللهجة أصيلة بسبب موقع انتشارها في وسط كردستان بعيداً عن تأثير اللغات العربية والتركية.

رغم أنّ جميع الأغاني باللغة الكردية الكوجرية، إلا أنّها قد تتضمّن لهجات مختلفة مثل الباتي والتاي والكاجا والمسيرشا والخليكا. وترتبط هذه اللهجات ارتباطاً وثيقاً ببعضها البعض، ممّا يحافظ على أصالة اللغة الكردية الكوجرية.

علي حاجي يوسف – مغني

علي حاجي يوسف الملقّب بأبو عادل هو أحد المخضرمين في المشهد الثقافي في القامشلي، حيث يوازن بين دوره كموظف في مؤسّسة ثقافية وواجباته الرعويّة في شراء الماشية. تعود جذوره إلى قرية كاسان في ديرك، وتتألق خبرته في مجال "كفنه شوبي" أي التراث القديم. يختصّ أبو عادل في الأساليب الغنائية مثل "الدنجبيجي" و"كراني/بروتا" و"حيرانوك/أفينداري"، وهو وصيّ على التراث الموسيقي الغني الموجود في منطقة بوطان.

إنّ التزامه في الحفاظ على هذا التراث يتجلى في نهجه متعدّد الأوجه. حيث لا يكتفي أبو عادل بالغناء في حفلات الزفاف والجلسات، بل يسعى أيضاً إلى تثقيف الجيل الأصغر حول تراثه الموسيقي. ومن خلال مشاركته في المجموعات الشبابية والفعاليات الثقافية، فإنّه يضمن نقل الأغاني التقليدية وطرق الغناء إلى الأجيال القادمة.

هازم درويش – مغني

هازم درويش هو صيّاد متقاعد وموظّف سابق في محطة إذاعية، يجسّد روح قرية ميركاميرا من خلال ارتباطه العميق باللون الموسيقي كوجري وديماني. يعود أصل حازم إلى منطقتيّ فان وبوطان في تركيا، ويتميّز أسلوبه الغنائي بالتركيز على رنين الحنجرة والشفتين، ممّا يعكس الألحان التقليدية لتراثه.

ورغم تقاعده، فإنّ شغف حازم بالموسيقى لا يزال قائماً. وسواء كان يغني في حفلات الزفاف أو الجلسات مع الأصدقاء، فإنّه يضفي على كلّ أداء أصالة ودفء لهجته الكردية الكوجرية. بفضل التزامه الراسخ بالحفاظ على الكلمات والألحان الأصلية لأغانيه، يضمن حازم أن يستمرّ جوهر ميركاميرا للأجيال القادمة.

عائشة سردار أحمد – مغنّية

تجسّد عائشة سردار أحمد معلّمة الموسيقى الشابّة من ديرك الروح الحيويّة للألوان الموسيقية "البايزوك" و"الحيرانوك" و"السريلي". وحيث أنّها تعيش في منطقة بهريمة بوطان الواقعة بين سوريا وتركيا والعراق، فإنّ صوت عائشة يحمل جوهر تراثها الثقافي. ومن الغناء في حفلات الزفاف إلى إحياء ذكرى الشهداء، فإنّ رصيد عائشة الفني يعكس النسيج المتنوّع من المشاعر في أغاني مجتمعها.

تلتزم عائشة بنقل معرفتها إلى الجيل القادم كونها معلّمة موسيقى. وعلى الرغم من التحديات التي تواجهها في المشهد التعليمي، إلا أنّها تظلّ ملتزمة بتدريس تفاصيل مقامات البيات والعجم والحجاز. تحرص عائشة من خلال جهودها على أن يستمرّ إرث موسيقى البايزوك والسريلي في الازدهار، حيث يتردّد صداها بين الجمهور متجاوزة الحدود اللغوية والثقافية.

صانعو الآلات الموسيقية

في مدينة القامشلي في سوريا، يستمرّ التقليد العريق المتمثّل بصناعة الآلات الموسيقية رغم تعقيدات العصر الحديث. من بين الحرفيين الموهوبين الذين يجسّدون روح التفاني والشغف للحفاظ على التقاليد الموسيقية القديمة نجد عبد القادر خليل حنوش ومعاذ محمد خليل أحمد وصفوان أحمد يونس. تتجاوز براعتهم مجرد الحرفية؛ فهي بمثابة شهادة عميقة على هويّة المنطقة الثقافية وتراثها. انضمّوا إلينا للتعرّف إلى القصص المُلهمة لهؤلاء الحرفيين ذوي المهارات الاستثنائية والالتزام الثابت بإحياء الألحان العذبة لبلادهم.

عبد القادر خليل حنوش – صانع الكمنشة

عبد القادر خليل حنوش هو نجّار وصانع آلات موسيقية يبلغ من العمر ستة وأربعين عاماً، متخصّص حالياً في صناعة آلة الكمنشة لكنّه عمل سابقاً في صناعة آلة القانون. يقيم في حيّ المصطفى في القامشلي في سوريا، ويدير ورشته في حيّ قدوربك.

لدى عبد القادر معرفة جيدة بآلة الكمنشة، وهي آلة موسيقيّة قديمة تستخدم على نطاق واسع في المنطقة منذ قرون، وتُعزف عادة في حفلات الزفاف والحفلات المختلفة.

للكمنشة ذراع أسطوانية خشبية بثلاثة أوتاد متوسطة الحجم مصنوعة من نفس الخشب، والجسم على شكل وعاء مصنوع أيضاً من الخشب. في الماضي، كان يُغطّى بجلد الماعز الصغير والغزلان أمّا الآن فهو مغطّى بجلد السّمك المشدود. كان الذراع والوعاء متّصلين بقضيب ولكن الآن أصبحا متّصلين بقطعة خشبية. تحتوي الآلة على ثلاثة أوتار، واحد مصنوع من الراتنج واثنان عاديان، مصنوعان عادة من المعدن الذي غالباً ما يكون من الكروم. يتكوّن القوس من قطعة من الخشب وقطعة من الجلد للمقبض وشعر ذيل الحصان. وبسبب ندرة شعر ذيل الحصان الجيد، يتمّ استخدام شعيرات بلاستيكية صناعية بدلاً منه.

يستخدم عبد القادر بشكل أساسي خشب الزان لصناعة الكمنشة، ولكن في الماضي كان يتمّ استخدام خشب المشمش والجوز والتوت أيضاً. وتُصنع أوتار الآلة من الفولاذ الكرومي بينما يتمّ تلوين الخشب بصبغة الجوز. كما يتمّ وضع مادة مانعة للتسرّب، ثم يتم وضع ثلاث أو خمس طبقات من الورنيش. القوس مصنوع من خشب الزان مع قطعة من الجلد للمقبض، وشعيرات بلاستيكية صناعية بدلاً من شعر ذيل الحصان.

يجلب عبد القادر الموادّ من سوق القامشلي داخل سوريا وتحديداً من اللاذقية. وكجزء من تراث المنطقة، يضيف زخارف من الصّوف إلى الكمنشة تُسمّى الخلال والربشل والكلك.

أمّا بالنسبة لقوالب صناعة الكمنشة، فليس لدى عبد القادر إمكانية الوصول إليها، ولكن يمكنه الحصول عليها بأسعار مرتفعة إذا لزم الأمر. ويستغرقه صناعة خمس كمنشات أسبوعاً كاملاً.

ورث عبد القادر هذه الحرفة عن والده، وتُباع جميع الآلات الموسيقية التي يصنعها حيث لا يجد صعوبة في بيع آلاته فهناك طلب عليها. ويبيعها إلى المحلات التجارية بمئة دولار، ثم تُباع في السوق بسعر 175 دولار. وتُباع جميع آلاته بنفس السعر لأنّه يستخدم نفس المواد فيها جميعا.

كما يبيع عبد القادر آلاته الموسيقية مباشرة للعازفين، فيأتون إليه ويشترون الآلات بشكل مباشر أو بشكل غير مباشر عن طريق أصحاب محلات بيع الآلات الموسيقية. ويبيع آلاته الموسيقية أيضاً في ألمانيا ويتلقّى طلبات من الخارج بما في ذلك كردستان التركية وألمانيا.

ولسوء الحظّ، تراجعت مبيعات الكمنشة بشكل ملحوظ، ويرجع ذلك أساساً إلى قلّة العازفين وتفضيل الآلات الموسيقية الحديثة.

معاذ محمد خليل أحمد (ياسم معاذ يالورفان) – صانع ناي

معاذ محمد خليل أحمد المعروف أيضاً باسم ياسم معاذ يالورفان هو شخصيّة معروفة في الوسط الفني. ولد عام 1979 ويعمل مدرّساً للموسيقى في معهد مم وزين في ديرك. يقدّم المعهد تعليماً موسيقياً للأفراد من جميع الفئات العمرية. كما يقوم معاذ بالتدريس في مركز دجلة وسيبدأ قريباً بتدريب المسيحيين في كنيسة ديرك. يقيم في هولير في السليمانية وقريته تسمّى حاجي هارون وتقع بين منطقة كوجر وبراوه، ويوضّح معاذ أنهم ليسوا من مجتمع الكوجر بل من مجتمع الهسني.

إنّ البلور المعروف بالنّاي باللغة العربية هو آلة موسيقية كانت تُصنع في الأصل باستخدام القصب. يُطلق عليه اسم "الناي" من قبل الفارسيين والأتراك والعرب. وعندما يُصنع البلور من الخشب يُسمّى "القاوال" أو "القافال." يشرح معاذ أنّه من خلال دراسته وتفاعله مع الأكراد في إيران وزياراته إلى مناطق كردستان والسليمانية وهولير، اكتشف أن الآلة وُجدت لأول مرة بين نهري دجلة والفرات على يد الرّعاة. حيث أنّه عندما تتغذى الأغنام على القصب تنكسر القصبة إلى نصفين ممّا يخلق مسافة بين الثقوب، وعندما تدخل الريح تصدر أصواتاً حيث أدّى ذلك إلى اكتشاف الآلة. كما تمّ العثور على آلة بلور في مصر عند نهر النيل.

صفوان أحمد يونس - صانع ساز

صفوان أحمد يونس هو صانع آلات موسيقية يبلغ من العمر 37 عاماً ويقيم في القامشلي في الهلاليّة. وهو متخصّص في صناعة وصيانة الآلات الموسيقية مثل العود والبزق والبغلمة. كما أنّ صفوان عازف بزق كردي ماهر، وغالباً ما يؤدّي عروضاً في الحفلات والمناسبات.

ينحدر صفوان من قرية كلش على طريق تل براك في محافظة الحسكة، وانتقل مع عائلته إلى القامشلي في عام 2009. تكمن خبرته في صناعة الطنبور المعروف أيضاً باسم "الساز" باللغة التركية. الطنبور هو آلة موسيقية قديمة يُعتقد أنّ الأتراك هم من صنعوها، على الرغم من الحاجة إلى مزيد من البحث لتحديد ما إذا كان الأكراد في تركيا أو الأتراك أنفسهم هم من صنعوها.

يتكوّن الطنبور من ثلاثة أجزاء رئيسيّة: الطاسة والصندوق الرنّان والعنق. يتضمّن العنق الأوتاد، بينما تمثّل الأوتار النغمات. تضمّ الآلة قطعة صغيرة تسمّى الفرس في الأعلى وفرس أكبر على الصندوق الرنّان.

يصنع صفوان الطنبور/البزق الكردي باستخدام الخشب حيث أنّه المادة التقليدية لصناعة الآلات الموسيقية. في الماضي، كانت الآلات الموسيقية تُصنع يدوياً من الخشب، ولكن يستخدم صفوان الآن أدوات مثل المناشير لقطع الخشب. يستخدم صفوان في المقام الأول جذوع الأشجار من شجر التوت والزان والجوز. بعد قطع الجذوع بالمنشار ونقعها في الماء، يقوم بتشكيل الخشب على شكل مقعّر باستخدام موقد الصاج. وبعد أن يجفّ الخشب يحتفظ بشكله، كما يستخدم صفوان القوالب لصناعة الآلات الموسيقية مثل البزق والطنبور.

يتمّ استيراد أشجار الجوز من تركيا ولكنّ أشجار التوت متوفّرة محليّاً في القامشلي. تُعتبر أشجار التوت والجوز من الأشجار المفضّلة بشدّة لقدرة خشبهما على إصدار أصوات جميلة. حيث يصدر خشب التوت صوتاً عالياً بينما يصدر خشب الجوز أصواتاً ناعمة وشجيّة. يفضّل صفوان استخدام خشب التوت نظراً لخصائصه المرغوبة. تُصنع الأوتاد من أشجار الأبنوس المستوردة من تركيا، كما يتمّ استيراد الملحقات الأخرى مثل الأوتار والرّيش والفرَسات والدساتين والحقائب ومعادِلات الصوت الكهربائيّة من تركيا.

يصنع صفوان الآلات الموسيقية من الصفر وذلك باستخدام قوالب جاهزة أو إنشاء قوالبه الخاصة على موقد الصاج لتسخين الخشب وطيّه. يجلب الموادّ من متاجر في القامشلي رغم أنّ معظم المواد يتمّ استيرادها من تركيا.

عندما تكون الظروف المثالية مع توافر المعدّات والكهرباء، يستطيع صفوان صناعة عشرين آلة في شهر واحد. ولكنّه في الوقت الحالي وبسبب شحّ الموارد والمساعدة المحدودة، فإنّه يستطيع أن يصنع آلتين فقط شهريّاً.

رغم أنّ صفوان لا يقوم حالياً بصناعة الأوتاد، إلاّ أنّ بإمكانه القيام بذلك إذا تمّ تزويده بالآلات والمعدّات اللازمة، حيث كان يصنع الأوتاد يدوياً في الماضي. بدأ شغف صفوان بصناعة الآلات الموسيقية في سنّ مبكرة عندما صنع الطنبور باستخدام علبة دبس السكر وأسلاك هيكل دراجة. لقد تعلّم هذه الحرفة بنفسه من خلال إصلاح بزق عمه المكسور، وفي النهاية صنع له بزقاً باستخدام سكين. حتى أنّ براعة صفوان قادته إلى إنشاء ماكينة صنفرة كهربائية خاصة به. وعلى الرغم من أنّه لم يعلّم أحدًا كيفية صناعة الآلات الموسيقية، إلا أنّه يعبّر عن رغبته في تعليم الآخرين، ويعتقد أنّه من المفيد أن تكون هناك ورشة عمل يمكن للأفراد من خلالها تعلّم أجزاء مختلفة من صناعة الآلات الموسيقية.

يُعتبر صفوان موسيقياً ماهراً بالإضافة إلى مهارته في صناعة الآلات الموسيقية، حيث يعزف على البزق والطنبور والبغلمة. وقد ألهمه حبّه لهذه الآلات إلى تعلّم كيفية صناعتها.

يفتخر صفوان بمساعدة الآخرين ويبيع آلاته بأسعار معقولة. وفي حين أنّ الآلات ذات الجودة المماثلة قد تكلّف 250 دولاراً في السوق، إلّا أنّ صفوان يبيعها مقابل مئتيّ دولار أو أقل اعتماداً على الجودة والوقت المستغرق في صنع كلّ آلة. ويحرص على استخدام المواد الخام عالية الجودة فقط في الآلات التي يصنعها مثل الخشب الجيد.

يتلقّى صفوان الطلبات من الفنّانين والمعارف والغرباء لكنّه لا يصنع الآلات للمتاجر، فهو جاهز لصناعة الآلات لأيّ شخص يتواصل معه بما في ذلك العملاء من كردستان وأوروبا عند الطلب.

لكنّ صفوان يشير إلى أنّ الطلب على آلاته الموسيقية قد تراجع بشكل ملحوظ في السنوات الأخيرة خاصة بسبب أزمة الدولار. ورغم هذا التراجع فإنّه لا يزال ملتزماً بمهنته، ويستذكر صفوان حادثة بكى فيها طفل صغير وهو يطلب من والدته طنبورا، فسألت الأم عن السعر، وعندما ذكر صفوان أنّ السعر 30 دولاراً، ردّت قائلة: "يمكننا أن نعيش بهذا المبلغ".

ب.3. حيّ المشلب في الرقّة

خصائص المجتمع

يقع حيّ المشلب في شرق الرقّة ويمتدّ على ضفاف نهر الفرات، ويمزج بسلاسة بين التحضّر والأراضي الزراعية. ويبلغ عدد سكان الحي ما بين 30 ألف و50 ألف نسمة، وتشكل الإناث 55% من المجتمع.

تتداخل الجوانب الاقتصاديّة والتعليميّة بشكل مُتقن في نسيج حيّ المشلب. حيث تهيمن الأنشطة الزراعيّة على المشهد المهني، ويتكامل ذلك بشكل متناغم مع التجارة المزدهرة ومهنة التدريس النبيلة. ويفتخر المجتمع بمؤسّساته التعليميّة التي تشمل المدارس الابتدائية والثانوية رفيعة المستوى، بالإضافة إلى جامعة الشرق المرموقة.

إنّ ديناميكيات النوع الاجتماعي والتنوّع الاقتصادي تشكّل جوانب أساسيّة تحدّد جوهر حيّ المشلب. ويوضّح لنا الاقتصاد صورة لمجتمع شهد تحوّلاً تدريجياً من المهن الرعويّة التقليديّة إلى مجموعة أكثر تنوّعاً من سبل العيش، تتراوح من الزراعة إلى التجارة المزدهرة. ولكن لم يكن هذا التحوّل خالياً من التحديات، حيث ساهم انخفاض الأراضي المُتاحة لتربية المواشي في تطوير المشهد الاقتصادي.

تشكّل الاحتفالات الثقافية والروابط المجتمعية جزءاً لا يتجزأ من نسيج المشلب. ويشهد المجتمع نشاطاً ملحوظاً خلال الأعياد الدينية مثل المولد النبوي الشريف، حيث تقام احتفالات حيويّة تتميز بجلسات الغناء التقليدي والروحي. كما أصبحت حفلات الزفاف والحصاد الزراعي مناسبات عزيزة للجلسات السعيدة، ممّا يعكس التراث الثقافي الغني للمجتمع وتقاليده الراسخة.

تعدّ المنَعة الاجتماعيّة والتعبير الإبداعي من السّمات المميّزة لمجتمع المشلب. تشكّل الاحتفالات الجماعيّة والمنتديات الأدبيّة منصّات قويّة لتعزيز الروابط المجتمعية وإبراز الروح القوية للمجتمع الذي يظل صامداً في مواجهة التحديات. وتمثل أمسيات الشباب وحفلات الخطوبة واحتفالات التعافي مثالاً آخر على التزام المجتمع بتعزيز الروابط الاجتماعية القوية، ممّا يعكس روح الزجل الشامي الخالدة.

وتضيف الروابط التاريخيّة واللوحة المناخيّة المتغيرة باستمرار عمقاً وثراءً إلى سرديّة المشلب. يتمتّع هذا الحيّ بتاريخ يمتدّ لنحو ثلاثمئة عام، ويمثّل بوتقة تنصهر فيها مكوّنات اجتماعية متنوّعة من بلاد الشام ومنطقة الجزيرة السورية وغيرها. يُعتبر المناخ المعتدل الذي يتميّز بصيف طويل وشتاء طويل بمثابة لوحة قماشيّة تُرسَم عليها جذور المجتمع التاريخية وتقاليده المتطورة بشكل جميل.

عندما نتعمّق في الفسيفساء النّابضة بالحياة التي تشكّل حيّ المشلب، نكتشف سرديّة آسِرة للمهن المتنوعة والاحتفالات الثقافية والمجتمع الذي يظل صامداً في مواجهة التغيير. يجسّد هذا الحيّ روح النسيج الفريد لمدينة الرقّة، حيث تتعايش التقاليد بانسجام مع التقدّم والتطوّر، ممّا يخلق مجتمعاً رائعاً وديناميكياً بالفعل.

التقاليد الموسيقية

في المشهد الموسيقي المتنوّع في الرقّة في سوريا، يتردّد صدى نغمات العتابا والموليا والنايل والسويحلي والتشاطيف والساجوري الخاص بمنطقة الفرات. تقوم هذه المنطقة بإحياء موسيقاها الشعبية من خلال حفلات الزفاف وحفلات الشباب، ونقل المواهب من خلال الاستماع بدلاً من التعليم الرسمي. يتقبّل المجتمع ممارسة العزف على الآلات الموسيقية والغناء ويحتضنها، ويعامل الموسيقيين على قدم المساواة. يتمّ الاحتفال بمختلف المناسبات من النجاح الأكاديميّ إلى التعافي من المرض بالرقص على أنغام الآلات التقليدية مثل الربابة والدف والزمارة (الناي باللهجة المحليّة). هذه الآلات هي مزيج من الصناعة المحليّة والمواد المستوردة، وتستخدم موادّ مثل جلد الماعز والخشب وشعر ذيل الحصان وقصب السكر. لكن على الرغم من التقاليد الموسيقية النابضة بالحياة، إلا أنّ هناك نقصاً في الأماكن المخصّصة للتعليم الرسمي للموسيقى الشعبيّة في هذه المنطقة. ويظلّ الاهتمام بصناعة هذه الآلات والعزف عليها مرتفعا، لكنّ المجتمع يواجه تحديّات بما فيها قلّة الحرفيّين الذين يصنعون هذه الآلات واستيراد الآلات من الخارج.

الفنّانون

يقدّم هذا القسم مجموعة متنوّعة من الموسيقيّين الذين يساهمون في النسيج الثقافي الغنيّ لمدينة الرقّة في سوريا من خلال إتقانهم للموسيقى التقليدية. من عازفي الربابة والدف المهَرة من أمثال خالد حسين الحسن وكمال محمد الموسى، إلى المغنّين متعدّدي المواهب من أمثال حمود محمد الحسن وقصي عبد الجليل الحمود، يجسّد كل فنان جوهر التراث الموسيقي لمنطقته. وتُعتبر عروضهم التي غالباً ما يتمّ تقديمها في حفلات الزفاف والمناسبات الاجتماعية بمثابة شهادة على التقليد الدائم لصناعة الموسيقى الجماعيّة في الرقّة. ومن خلال مهاراتهم الفنية، ينسجون قصص الحبّ والاحتفال والحنين، ويقّدمون اللّهجة الفراتية وارتباطها العميق بالمجتمع.

خالد حسين الحسن - عازف ربابة ودف

خالد حسين الحسن هو عازف ماهر يبلغ من العمر نحو 35 عاماً ويتقن العزف على الربابة والدف، وهو من حي المشلب النابض بالحياة في الرقّة في سوريا. خالد متخصّص في مختلف الأنواع الموسيقية التقليديّة مثل النايل والموليا والعتابا والساجوري، حيث تعدّ هذه الأنواع راسخة بعمق في النسيج الثقافي للمنطقة.

ورغم أنّ الموسيقى التي يعزفها خالد قد تختلف باختلاف المناطق، إلا أنّه يحرص على المحافظة عليها من خلال الالتزام بتراثها القديم. غالباً ما يقدّم موسيقاه في حفلات الزفاف حيث تجلب الفرح والبهجة إلى المناسبات الاجتماعية، فتسحر الجماهير بإيقاعاتها المتناغمة وألحانها الشجيّة.

يبهر خالد المستمعين وينقلهم إلى عالم مليء بالتقاليد والثراء الثقافي باستخدام آلات موسيقية مثل الربابة والدف. ومن خلال فنّه، يعمل على إبقاء التقاليد الموسيقيّة القديمة في الرقّة حيّة، وتعزيز الشعور بالفخر والهويّة بين أهلها.

كمال محمد الموسى - مغنّي وعازف ربابة ودف

كمال محمد الموسى هو فنّان متعدّد المواهب وماهر في الغناء والعزف على الربابة والدف، ينحدر من حيّ المشلب في الرقّة في سوريا. بفضل خبرته في الأنواع الموسيقية التقليدية مثل المواليا والعتابا والنايل والسويحلي والساجوري، فإنّ موسيقى كمال تتوافق مع التراث الثقافي لمنطقته.

يحرص كمال على الحفاظ على الموسيقى التي يعزفها من خلال دمج الآلات التقليدية مثل الربابة والدف. وغالباً ما يؤدّي كمال عروضه في حفلات الزفاف والمناسبات الاجتماعية، حيث تعمل موسيقاه على جمع المجتمعات معاً ممّا يعزّز الوحدة وينشر البهجة بين الأفراد.

ينقل كمال معرفته للجيل الأصغر سنّاً، ويعلّمهم الغناء والعزف على الآلات الموسيقية التقليدية في مركز الرقّة للفنون والثقافة. ويعمل من خلال فنّه على إحياء التقاليد الموسيقيّة الغنيّة في الرقّة وإثراء حياة أهلها.

حمود محمد الحسن - مغنّي وعازف دف

حمود محمد الحسن هو مغنّي موهوب وعازف دف، ينحدر من حي المشلب النابض بالحياة في الرقّة في سوريا. يتخصّص حمود في الفراقيّات (أغاني الفراق)، وموسيقاه تعكس العمق العاطفي والغنى الثقافي لمنطقته.

ورغم أنّ موسيقى حمود قد تتواجد في مناطق أخرى، إلا أنّه يضمن أصالتها من خلال الالتزام بالخصائص الفريدة لهذا النوع. غالباً ما يقدّم موسيقاه في حفلات الزفاف والمناسبات الاجتماعية، حيث تثير شعوراً بالحنين والشوق وتلامس قلوب المستمعين.

يشارك حمود شغفه بالموسيقى مع الأصدقاء والعائلة حيث نشأ واحتكّ بالمطربين الشعبيين في حيّه. ومن خلال فنّه، يحافظ على التراث الثقافي لمدينة الرقّة، ويبقي تقاليدها الموسيقية القديمة حيّة للأجيال القادمة.

قصي عبد الجليل الحمود – مغنّي

قصي عبد الجليل الحمود هو مغنّي شاب وموهوب ينحدر من حيّ المشلب النابض بالحياة في الرقّة في سوريا. يتقن قصي الغناء بالألوان التقليدية مثل المواليا، وتعكس موسيقاه التنوّع الثقافي وغنى منطقته.

ورغم أنّ موسيقاه قد لا تكون خاصة بالمنطقة، إلا أنّ قصي يضمن أصالتها من خلال الالتزام بخصائصها الفريدة. غالباً ما يقدّم موسيقاه في حفلات الزفاف والمناسبات الاجتماعية، حيث تجلب الفرح والبهجة للمجتمعات وتوحّدهم في الاحتفال.

يشارك قصي موهبته مع الأصدقاء والعائلة من خلال موسيقاه، ويثري حياتهم بالألحان التقليدية الخالدة. ويعمل من خلال فنّه على إبقاء التراث الثقافي لمدينة الرقّة حيّاً، ويلهم الآخرين لاحتضان جذورهم وهويّتهم.

أحمد حسن السالم – مغنّي

أحمد حسن السالم هو مغنّي في منتصف العمر يتقن كافة الألوان الموسيقية وينحدر من حيّ المشلب في الرقّة في سوريا. تعكس موسيقى أحمد بمجموعتها المتنوّعة التنوّع الثقافي والحيوي لمنطقته.

ويحرص أحمد على الحفاظ على الأنواع الموسيقية التي يؤديها من خلال دمج الآلات التقليدية مثل الدف والربابة والزمارة/ الناي. غالباً ما يقدّم موسيقاه في حفلات الزفاف والمناسبات الاجتماعية، حيث تعمل موسيقاه على جمع المجتمعات معاً ممّا يعزّز الوحدة وينشر البهجة بين الأفراد.

ينقل أحمد معرفته للجيل الأصغر سنّاً بفضل شغفه بالموسيقى والتراث الثقافي، ويعلّمهم تقدير جذورهم الموسيقية واحتضانها. ويحافظ من خلال فنّه على التقاليد الموسيقية الغنيّة في الرقّة، ممّا يلهم الآخرين للاعتزاز بتراثهم.

أحمد صالح الحميدي – مغنّي وعازف دف

أحمد صالح الحميدي هو مغنّي وعازف دف مخضرم ينحدر من حيّ المشلب في الرقّة في سوريا. يتخصّص أحمد في نوع المواليا، ولا تقتصر موسيقاه على المنطقة بل يتردّد صداها لدى الجماهير في مختلف المناطق. وهو يقرّ بالأنماط الفريدة الموجودة في كلّ منطقة ممّا يضمن أصالة عروضه.

تُعتبر موسيقاه التي غالباً ما تُعرض في حفلات الزفاف الخطوبة والمناسبات الاجتماعية بمثابة قوّة موحّدة داخل المجتمع. تكمن خبرة أحمد في الأداء الفردي والجماعي، ممّا يتطلب التعاون مع عازفي الآلات التقليدية الأخرى مثل الدف والربابة والزمارة/الناي.

وبعد أن صقل أحمد مهاراته من خلال المشاركة في الاحتفالات المحليّة وحفلات الغناء، يواصل الحفاظ على الإرث القديم للتقاليد الموسيقية في الرقّة. ويتجلّى تفانيه في الحفاظ على هذه التقاليد في تدريسه في مركز الرقة للفنون والثقافة، حيث ينقل المعرفة للفنّانين الطموحين.

غالباً ما تتناول أغاني أحمد صالح الحميدي مواضيع الغزل والحصاد والفراق والمناسبات المجتمعية. وتعكس موسيقاه أفراح وصراعات الحياة في الرّيف السوري، وتجسّد جوهر التجارب والعواطف اليومية.

محمد جاسم الثلجي – مغنّي وعازف ربابة

محمد جاسم الثلجي هو فنّان شاب وموهوب، يتخصّص في فنّ الفراقيات الذي يُعرف بأغاني الفراق والحزن. ورغم أنّ هذا الفنّ لا يقتصر على هذه المنطقة، فإنّ محمد يضفي على عروضه السّمات الفريدة للنمط الموسيقي في الرقّة.

يتمّ أداء موسيقاه في أماكن مختلفة مثل حفلات الزفاف والجلسات الشبابية والنزهات، حيث يمكن الاستمتاع بها بشكل فردي وجماعي. يستمدّ محمد إلهامه من بيئته، حيث يتعلّم الغناء والعزف على الربابة من مصادر محليّة.

يحرص محمد على أن تعكس عروضه جوهر التراث الثقافيّ لمدينة الرقّة لأنّه ملتزم بالأصالة. يقدّم من خلال موسيقاه مواضيع الغزل والفراق، ويسحر قلوب المستمعين ويحافظ على كلمات الأغاني القديمة للّهجة الفراتيّة.

محمد عبد الجليل الجامود - مغنّي وعازف دف

محمد عبد الجليل الجامود هو فنّان شاب متعدّد المواهب يتقن الغناء والعزف على الدف، ويجلب أسلوبه الفريد إلى المشهد الموسيقي المتنوّع في الرقّة في سوريا. وحيث أنّ المواليا ليست حكراً على المنطقة، فإنّ محمد يدمج عناصر من الأنواع المحليّة في عروضه، مثل الطّواح الذي يعدّ نمطاً قريباً من السويحلي، ممّا يثري النسيج الثقافي لمجتمعه.

وتُظهر موسيقاه التي غالباً ما تُعرض في حفلات الزفاف والاحتفالات المماثلة، التقليد الغنيّ للعروض الجماعية، والتي تتطلّب التعاون مع عازفي الآلات التقليدية الآخرين. بدأت مسيرة محمد الموسيقية بهديّة في فترة الطفولة، ممّا أدّى إلى إتقانه فنّ العزف على الدف من خلال جلسات التدريب غير المنتظمة مع الأصدقاء والعائلة.

بفضل فهمه العميق للفوارق الدقيقة بين مقاميّ البيات والسيكا، يبتكر محمد ألحاناً تلقى صدى لدى الجماهير في مختلف المناطق. ومن خلال موسيقاه، يستكشف موضوعات الغزل والفراق ويقدّم لمحة عن الجمال الخالد للّهجة الفراتية.

عبد الرزاق شواخ محمود - مغنّي وعازف دف وربابة

عبد الرزاق شواخ محمود هو فنّان متعدّد المواهب يتقن الغناء والعزف على الدف والربابة، ويجسّد التقليد الموسيقي الغنيّ لمدينة الرقّة في سوريا. يتخصّص عبد الرزاق في أنواع موسيقية مثل المواليا والعتابا والتشاطيف والسويحلي والساجوري، ويحافظ على التراث القديم لمنطقته من خلال عروضه في الأعراس والمناسبات الاجتماعية.

بعد أن تعلّم عبد الرزاق على أيدي فنّانين مخضرمين، ينقل معرفته إلى الجيل الأصغر سنّاً في مركز الرقة للفنون والثقافة، ممّا يضمن استمرارية التقاليد الموسيقية. ومن منطلق التزامه بالأصالة، يجلب آلاته من الأسواق المحلية مؤكّداً على أهمية المهارة الحرفيّة في الحفاظ على الهويّة الثقافية.

تعكس موسيقى عبد الرزاق التأثيرات المتنوّعة لمقامات البيات والسيكا والربع والبلدي، وتقدّم اللّهجة الفراتية بشكل دقيق. ويحتفل من خلال فنّه بجمال الأغاني القديمة وينسج قصص الحبّ والشوق في نسيج التراث الثقافي لمدينة الرقّة.

فهد ابراهيم المختار - مغنّي وعازف دف

فهد إبراهيم المختار هو فنّان شاب وموهوب، ينقل روح المواليا من خلال عروضه في الرقة في سوريا. وحيث أنّ موسيقى فهد ليست مقتصرة على منطقة معينة، فإنّها تعكس موضوعات عالمية مثل الحب والاحتفال، ممّا يثري المشهد الثقافي لمجتمعه.

تتميّز موسيقاه التي غالباً ما تُعرض في حفلات الزفاف بالطبيعة التعاونيّة للعروض التقليدية، والتي تتطلّب مشاركة عازفي الدف والربابة والزمارة/الناي. بدأت مسيرة فهد كموسيقي بتوجيه من فنانين شعبيين أكبر سناً في حيّه، ممّا غرس فيه تقديراً عميقاً للتقاليد.

بفضل فهمه العميق للبيات والسيكا، يؤلّف فهد ألحانًا تلقى صدى لدى الجماهير في مختلف المناطق، ممّا يعرّف باللّهجة الفراتية. ويكرّم من خلال فنّه كلمات الأغاني القديمة بينما يضفي عليها تفسيرات جديدة، ممّا يعكس الطبيعة الديناميكية للتعبير الثقافي.

إبراهيم خميس حمادة - عازف زمارة / ناي

يساهم إبراهيم خميس حمادة عازف الزمّارة/الناي الماهر في النسيج الغني للموسيقى التقليدية في الرقة في سوريا. يتخصّص إبراهيم في موسيقى النايل، وتجسّد موسيقاه الأنماط الفريدة في المنطقة حيث يستمدّ إلهامه من أنماط شعبيّة مثل الخمسة والقوصار والأسمر والولدة.

إنّ عروضه الموسيقية التي غالباً ما تُقدّم في حفلات الزفاف والاحتفالات المماثلة تسلّط الضوء على الطبيعة التعاونية للموسيقى التقليدية، والتي تتطلّب مشاركة عازفي الدف والربابة والزمارة/الناي. وقد بدأت مسيرة إبراهيم كموسيقي تحت إشراف فنّانين شعبيّين مخضرمين، ممّا شكّل أسلوبه المميّز ونهجه في الأداء.

لدى ابراهيم التزام بالحرفيّة فهو يقوم بصنع آلاته بنفسه، ممّا يضمن أصالتها وجودتها. ويحتفل من خلال موسيقاه بالطبيعة المميّزة للأنواع الموسيقية التقليدية، ويقدّم اللّهجة الفراتية وكلماتها الخالدة بطريقة حيويّة.

حمد علي المهل - عازف زمارة / ناي

حمد علي المهل هو عازف زمارة/ناي ماهر يثري المشهد الثقافي في الرقة في سوريا بأدائه المتنوّع. يتخصّص حمد في موسيقى الدبكة الشعبية، بما في ذلك دبكة الخمسة والقوصار والجولاقية والأسمر والولدة، وتعكس موسيقى حمد الأنماط والتقاليد الفريدة في المنطقة.

وفي حين أنّ بعض الأنماط مثل الجولاقية قد توجد في بلدان أخرى، فإنّ حمد يضمن الحفاظ على تراث الرقّة الموسيقي من خلال إتقانه لأنماط إقليمية محددة. إنّ عروضه الموسيقية التي غالباً ما تُؤدّى في حفلات الزفاف والجلسات الشبابية تُظهر الطبيعة التعاونية للموسيقى التقليدية، والتي تتطلّب مشاركة عازفي آلات مختلفة.

إنّ حمد ملتزم بالحرفيّة فهو يقوم بصنع آلة الزمارة/الناي بنفسه، مؤكداً على طبيعتها الحصرية ضمن النوع الموسيقي. ويحتفل من خلال موسيقاه بثراء اللهجة الفراتية، ويقدّم مزيجاً من الكلمات القديمة والجديدة التي تلقى صدى لدى الجماهير في مختلف المناطق.

صانعو الآلات الموسيقيّة

يُلاحظ أنّ هناك غياباً ملحوظاً للحرفيّين التقليديّين في مجال صناعة الآلات الموسيقية في حيّ المشلب في مدينة الرقّة في سوريا. حيث يضطرّ الموسيقيّون إلى شراء الآلات من الأسواق المحليّة أو البحث عنها في مناطق أخرى خارج الرقة، رغم توفر جميع الأدوات اللازمة لصناعتها مثل الخشب والجلد والقصب. لكن وسط هذه الندرة، صادفنا حرفيّاً واحداً من خارج حيّ المشلب متخصّص في صناعة العود والكمان. ومن المؤسف أنّ معظم صانعي الآلات الشعبيّة قد اضطرّوا إلى الرحيل بعد استهدافهم من قبل تنظيم داعش، ممّا خلّف فراغاً في هذه الحرفة التي كانت ناشطة في السابق.

ج. العراق

ج.1. بعشيقة وبحزاني

خصائص المجتمع

تُعدّ ناحية بعشيقة التي تضمّ قريتيّ بعشيقة وبحزاني والواقعة في الجزء الشماليّ الشرقيّ من قضاء الموصل ضمن محافظة نينوى، لوحة فسيفسائية نابضة بالتنوّع. ويُقدَّر عدد سكانها بنحو 150,000 نسمة، فيما يحتضن مركز الناحية حوالي 40,000 نسمة. ترسم اللوحة الديموغرافية صورة متوازنة، حيث يشارك الذكور الذين تبلغ نسبتهم 52% والإناث الذين تبلغ نسبتهم 48% في هذا المجتمع النابض بالحياة.

يكشف النسيج المهني في بعشيقة وبحزاني عن مزيج متناغم من المهن القديمة والحديثة. تحتلّ الوظائف الحكومية الأولويّة، وتتداخل مع تربية الماشية والزراعة وتصنيع المنسوجات الصوفيّة وصناعة العرق المحليّة، وكلها تتوافق مع الجذور التاريخية الغنيّة للمنطقة. ويتضمّن نسيج الاقتصاد المحليّ أيضاً النغمات الشجيّة للموسيقى التقليدية.

يتميّز المشهد التعليمي في بعشيقة بالتنوّع، حيث توجد مجموعة من المؤسسات التعليميّة مثل المدارس الابتدائية والإعدادية، بالإضافة إلى مدرسة ثانوية مهنيّة للصناعة والتجارة. لكن لا تزال الفوارق في التعليم قائمة، حيث يبلغ معدّل الأمية 10% ومعدّل الفقر 35%، ممّا يُبرز التحديات التي يواجهها مركز المنطقة وضواحيها.

إنّ النسيج الثقافي في بعشيقة نابض بالحياة، وهو نسيج يمثّل مزيجاً من الديانات والأعراق المتنوّعة. حيث يتعايش العرب والأكراد والتركمان والسريان والآشوريون والشبك في وئام، ويتقاسمون الأرض مع الإيزيديين والمسيحيين والمسلمين. وتضفي الأعياد الدينية مثل رأس السنة الإيزيدية وعيد الميلاد وعيد الفطر حيوية وبهجة على المشهد الثقافي.

تتميّز الاحتفالات في بعشيقة بإبراز جوهر التقاليد، حيث الجلسات التي تتميّز بالطعام التقليدي ورقصات الدبكة والموسيقى الساحرة. كما أنّ الطلب الفريد على الموسيقى الدينية خلال الاحتفالات الإيزيدية يضيف طبقات من العمق إلى النسيج الثقافي.

يشتمل النسيج اللّغوي في بعشيقة على اللّغتين العربيّة والكرديّة، مع لهجات مثل الماجو والكوران التي تضيف نكهات مميّزة إلى المشهد اللغوي. تتمتّع المنطقة التي تبدو كأنّها عراق مصغّر بروابط تاريخيّة تعود إلى الديانة

المِثرائيّة المرتبطة بعبادة الشمس والإمبراطورية الآشورية. وتقف المواقع الأثرية والآثار القديمة شاهدة على النسيج التاريخي الغني في بعشيقة.

إنّ المناخ في بعشيقة يتميّز بصيف حار وجافّ وشتاء بارد وممطر وخريف وربيع معتدلَين، ويعتبر بمثابة خلفيّة لمرونة المنطقة ومنعتها. إنّ التحديات الحديثة مثل التفاوتات والأميّة تتداخل مع النسيج التاريخي، ممّا يتطلّب توازناً دقيقاً حتى يتمكّن المجتمع من الازدهار.

نجد في بعشيقة مجتمعاً يحتضن التنوّع، ويوائم بين الخيوط الدينية والثقافية، ويواجه التحديات الحديثة بمرونة. إنّ نسيج بعشيقة يروي قصّة ساحرة عن تاريخ غنيّ ومترابط، حيث يتعايش الماضي والحاضر في تناغم.

التقاليد الموسيقية

في النسيج الثقافي لبعشيقة وبحزاني في العراق، تُعدّ الموسيقى الشعبيّة تعبيراً مفعماً بالحيوية منسوجاً بآلات مثل الدف والشبّابة (نفس آلة الناي) والطبل والزرنة/المزمار والمطبق (المجوز) والربابة والطنبور. وقد تخصّصت العائلات التي ورثت هذا الفن في إتقانه، ويضمن التعليم المباشر أو المشاركة في الفعاليات الموسيقية انتقال هذا الفن عبر الأجيال. إنّ الموسيقى لا تلعب دور المرافقة فحسب، بل هي جزء لا يتجزأ من الهويّة الدينية الإيزيدية. ولا يكتمل أيّ احتفال دون صدى الموسيقى الشعبية، سواء كان احتفالاً بمناسبة بهيجة أو حزينة. في الماضي، كانت أنشطة الحصاد والزراعة تتميّز بأغاني محدّدة على الرغم من أنّ التزوّد بالآليّات قد غيّر هذا التقليد. ويحتضن المجتمع مجموعة متنوّعة من الرقصات والطقوس الاحتفالية الدينية ذات الآلات الموسيقية المميزة. لا تزال الصناعة المحلية وخاصة صناعة الدف قائمة، في حين يتمّ استيراد الآلات الأخرى. وتشمل المواد اللازمة للصناعة الأخشاب والجلود الخاصة. ومن الممكن أن يخفّف الإنتاج المحلي للآلات من تحدّيات الاستيراد.

الفنّانون

يتردّد صدى الألحان الخالدة للموسيقى العراقيّة التقليدية عبر العصور في وسط الموصل وبعشيقة وبحزاني، والتي تعزفها الأيدي الماهرة والأرواح العاطفية لموسيقيين مثل حياوي قاسم عبدالله وإيريان حسن كوجي وخديدة جمعة عبدو ومخلف عبدو خلف وفلاح حيدر خضر. باستخدام آلات موسيقية مثل الطبل والشبّابة/الناي والدف، ينسج هؤلاء الفنّانون بمهارة نسيجاً حيوياً من الصوت يحتفي بالغنى والتراث الثقافي في وطنهم.

حياوي قاسم عبدالله – عازف طبل

حياوي قاسم عبد الله هو موسيقي مخضرم وعازف طبل ينحدر من المراكز الثقافية الحيويّة في الموصل وبعشيقة وبحزاني في العراق. ومع رصيده الموسيقي المتجذّر في الفولكلور الشعبي، تستحضر تعبيرات حياوي الموسيقية روح الموسيقى العراقية التقليدية.

وعلى الرغم من خصوصيّته الإقليمية، فإنّ الفولكلور الشعبي يلقى صدى خارج الحدود حيث توجد تقاليد موسيقية مماثلة في تركيا وسوريا. وفي حين أنّ هذه الموسيقى مرتبطة بمناطق أخرى، فإنّ قرية بحزاني تتميّز بتنوّعات فريدة ممّا يثري النسيج الثقافي للمجتمع.

وتزيّن عروض حياوي مختلف المناسبات الاجتماعية والدينية، من حفلات الخطوبة والزفاف إلى الطقوس الدينية مثل الطواف لدى الإيزيديين. كما أنّ مسيرته الموسيقية التي رعاها فنّانون مثل خيري عيسى في طفولته تعكس التزاماً عميقاً بالحفاظ على التقاليد.

يعدّ حياوي ماهراً في آلات موسيقية مثل الطبل والزرنة/المزمار والدف والناي، وتتجاوز موسيقاه حدود الأجيال وتردّد أصداء الألحان الخالدة لتراثه. كما يجسّد من خلال فنّه الغنى الثقافي لوطنه، معزّزاً الوحدة والاحتفال بين المجتمعات.

ايريان حسن كوجي – مغنّي

إيريان حسن كوجي هو رجل دين إيزيدي وقوّال ماهر (قارئ التراتيل الدينية)، ينحدر من أراضي نينوى وبعشيقة وبحزاني القديمة في العراق. يُعتبر إيريان وصيّاً على الموسيقى الدينية، وتتضمّن عروضه ترانيم وألحاناً إيزيدية مقدّسة، وهي جزء لا يتجزأ من النسيج الثقافي لمجتمعه.

يستمدّ إيريان موسيقاه حصريّاً من التقاليد الإيزيدية، وتلقى صدى ضمن حدود بعشيقة وبحزاني حيث تُعدّ بمثابة منارة روحيّة لشعبه. ومع وجود آلات مثل الشبابة/الناي وآلات الإيقاع، ترافق موسيقاه مختلف الطقوس والاحتفالات الدينية، ممّا يثري النسيج الروحي للثقافة الإيزيدية.

يعكس تراث إيريان الموسيقي الذي توارثته الأجيال التزاماً عميقاً بالحفاظ على التراث الإيزيدي. فمن خلال تعاليمه في مدرسة دينية وتقديم الإرشاد الشخصي، يضمن إيريان استمرارية التقاليد المقدّسة وينقل فنّ الشبابة/الناي إلى الأجيال القادمة.

تتجاوز موسيقى إيريان الحواجز اللّغوية وتخاطب الروح بألحانها الخالدة مسترشدة بإيقاعات المقامات مثل الصبا والحجاز والرست. ومن خلال فنّه، يجسّد إيريان الجوهر الروحي للثقافة الإيزيدية، ويعزّز الاحترام والتفاني بين أفراد المجتمع.

خديدة جمعة عبدو - عازف متعدد الآلات

خُدَيْدة جمعة عبدو هو فنّان شعبيّ في منتصف العمر، ينحدر من أراضي نينوى والموصل وبعشيقة التاريخية في العراق. يتقن خُدَيْدة العزف على الكمان وآلات الإيقاع ويقدّم عروضاً تضفي الحياة على الأغاني التقليدية، بما يتماشى مع الحيوية الثقافية لوطنه.

تتميّز موسيقى خُدَيْدة باحتضانها لأنواع موسيقية مثل الهجيني، وتجسّد جوهر موسيقى بعشيقة وبحزاني وتحتفي بالفولكلور العراقي الغني. وفي حين تلقى هذه الموسيقى صدى في المناطق المجاورة مثل سوريا وتركيا وإيران وشمال العراق، فإنّ ألحانها المميّزة تعكس التراث الفريد للمجتمع.

تزيّن عروض خُدَيْدة مختلف المناسبات الاجتماعية والاحتفالات، من مهرجانات الزراعة إلى احتفالات الزفاف، موحّدةً المجتمعات في احتفالات مُفعمة بالفرح. ومع آلات مثل الطنبور والزرنة/المزمار والأورغ والطبل، تنسج موسيقاه نسيجاً صوتياً يتجاوز الحدود.

تسترشد موسيقى خُدَيْدة بالإيقاعات والمقامات مثل الصبا وجورجينا، وتثير شعوراً بالحنين والانتماء، ويتردّد صداها لدى الجماهير عبر الأجيال. ومن خلال فنّه، فهو يحافظ على التراث الثقافي لوطنه، ويثري حياة الناس بالألحان التقليدية الخالدة.

مخلف عبدو خلف – مغنّي

مخلف عبدو خلف هو رجل دين إيزيدي موقّر وموسيقي في منتصف العمر، ينحدر من أراضي الموصل وبعشيقة وبحزاني القديمة في العراق. يُعتبر مخلف وصيّاً على الموشّحات والأناشيد الدينية الإيزيدية، وتجسّد عروضه الجوهر الروحيّ لمجتمعه المتشبّع بالتقاليد التي تعود إلى قرون مضت.

تنتشر الموسيقى الإيزيدية في تركيا وسوريا وأرمينيا وجورجيا متجاوزة الحدود الجغرافية، وتعمل كمنارة روحيّة للإيزيديين في جميع أنحاء العالم. وترتبط موسيقى مخلف بالطقوس المقدّسة مثل طواف الإيزيديين وقطف الزيتون واحتفالات المعابد، وتصاحب الشعائر الدينية بخشوع وتقوى.

يستخدم مخلف آلات موسيقية مثل الطنبور والشبابة/الناي، ويتردد صدى عروضه مع الإيقاعات المؤثرة للمقامات مثل الصبا والحجاز والرست. وعلى الرغم من غياب الكلمات، فإنّ ألحانه تثير شعوراً عميقاً بالارتباط الروحي، وتوحّد أفراد المجتمع في الصلاة والتأمّل.

يستمدّ مخلف الإلهام من اللّهجة الكرمانجية لّلغة الكرديّة، وتجسّد موسيقاه التراث الخالد للثقافة الإيزيدية، وتحافظ على الترانيم القديمة التي تعود إلى أكثر من ألف عام. ويحتفي من خلال فنّه بالتقاليد المقدّسة لشعبه، ويعزّز الوحدة والاحترام بين الإيزيديين في جميع أنحاء العالم.

فلاح حيدرخدر – مغنّي

فلاح حيدر خدر هو رجل دين إيزيدي وقوّال موقّر، ينحدر من أراضي نينوى والموصل وبعشيقة وبحزاني القديمة في العراق. يتخصّص فلاح في الموسيقى الدينية الخاصّة بالديانة الإيزيدية، وتجسّد عروضه الجوهر الروحي لمجتمعه.

تقتصر موسيقى فلاح على منطقتيّ بعشيقة وبحزاني، وتلقى صدى ضمن حدود الطقوس والاحتفالات الإيزيدية المقدّسة. إنّ ألحانه متجذّرة في التقاليد القديمة وتصاحب مختلف المناسبات الدينية، حيث تقدّم العزاء والسلوى لمجتمعه.

تنتقل موسيقى فلاح عبر الأجيال باستخدام آلات موسيقية مثل الدف الكبير الذي صنعه بنفسه بعناية شديدة، وتعزّز موسيقاه الاحترام والوحدة بين الإيزيديين في جميع أنحاء العالم. ومن خلال فنّه، يحتفي فلاح بالتقاليد المقدّسة لشعبه، ويحافظ على التراث الروحيّ للأجيال القادمة.

خيري عيسى حمو – عازف زرنة

خيري عيسى حمو هو فنّان شعبيّ متميّز وعازف زرنة، ينحدر من أراضي نينوى والموصل وبعشيقة وبحزاني القديمة في العراق. لدى خيري رصيد موسيقيّ مستمدّ من فسيفساء الفلكلور العراقيّ الغني، وتحتفي عروضه بالحيوية الثقافية لوطنه.

وبينما تتواجد موسيقاه في مناطق أخرى، إلّا أنّ ألحان خيري تحمل نغمات فريدة تعكس خصوصيّة مناطق بعشيقة وبحزاني. ترافق موسيقاه مختلف المناسبات الاجتماعية والاحتفالات، من حفلات الأعراس إلى طقوس الختان، حيث تتردد ألحانه في آذان الجمهور عبر الأجيال .

تثير موسيقاه شعوراً بالحنين والفرح وتوحّد المجتمعات في الاحتفال والبهجة من خلال الاستعانة بآلات موسيقية مثل الزرنة. يحافظ خيري من خلال فنّه على الإرث الثقافي لوطنه، ويثري حياة الناس بالألحان التقليدية الخالدة.

رعد عيدو إلياس - عازف متعدد الآلات

رعد عيدو إلياس هو فنّان شعبيّ مشهور من بعشيقة وبحزاني في العراق. تجسّد عروضه جوهر التراث الثقافي لمدينة بعشيقة من خلال مجموعة من الأغاني الحزينة وأغاني الحب.

وفي حين تجد موسيقاه أصداء في المناطق المجاورة مثل تركيا وإيران، فإنّ ألحان رعد تحمل تفاصيل واختلافات دقيقة تعكس الهوية الفريدة لوطنه. وتتردّد أصداء موسيقاه لدى الجماهير عبر الأجيال، وذلك في مختلف المناسبات الاجتماعية مثل حفلات الزفاف واحتفالات الأعياد.

تثير موسيقى رعد شعوراً بالحنين والشوق وتلامس القلوب بألحانها الخالدة، ويستعين بآلات موسيقية مثل الطنبور والطبل. يحافظ رعد من خلال فنّه على الغنى الثقافي لوطنه، ويعزّز الشعور بالوحدة والبهجة بين المجتمعات.

مروان حسين علي – مغنّي

مروان حسين علي هو مُنشد دينيّ موقّر وعازف آلات موسيقية، ينحدر من أراضي نينوى والموصل وبعشيقة القديمة في العراق. لديه رصيد موسيقي متجذّر في اللون الموسيقي سر مقام وبايزوك (أناشيد دينيّة)، وتجسّد عروضه الجوهر الروحي لمجتمعه.

وفي حين أنّ موسيقاه لديها سمات مشتركة مع موسيقى المناطق المجاورة مثل سوريا وتركيا وأرمينيا وجورجيا، فإنّ ألحان مروان تحمل فروقاً فريدة خاصة باللّهجة تعكس التراث الثقافي لوطنه. تصاحب موسيقاه مختلف المناسبات الدينية، وتثير الشعور بالاحترام والتقوى بين المستمعين.

يستخدم مروان آلات موسيقية مثل الطنبور والدف، وتتجاوز موسيقاه الحواجز اللّغوية وتتحدّث إلى الروح بألحانها الخالدة. ويحافظ من خلال فنّه على التقاليد المقدّسة لشعبه، ويعزّز الشعور بالوحدة والروحانية بين المجتمعات.

وعد درويش بركات – مغنّي

وعد درويش بركات هو فنّان شعبيّ مميز من بعشيقة في العراق. لديه رصيد موسيقي مستمدّ من الفلكلور الشعبي للمنطقة، وتحتفي عروضه بالحيوية الثقافية لبعشيقة وبحزاني وسنجار.

بينما تتشابه موسيقاه مع بعض الأغاني من الموصل ومناطق في تركيا وسوريا، إلّا أنّ ألحان وعد تحمل فروقات فريدة خاصّة باللّهجة تعكس تراث وطنه الغني. وترافق موسيقاه مختلف المناسبات الاجتماعية والاحتفالات، حيث تتردّد ألحانه في آذان الجمهور عبر الأجيال.

صانعو الآلات الموسيقية

لطالما اشتهرت مدن الموصل وبعشيقة وبحزاني بتقاليدها العريقة في مجال الحِرف والموسيقى. وفي هذه المجتمعات الحيويّة، برز حرفيّون من أمثال ماهر خليل قادر وكرم خيري عيسى ومال الله خضر حموي كأوصياء حقيقيين على حرفتهم.

يعدّ ماهر خليل قادر مثالاً بارزاً للحفاظ على التقاليد في المجتمع من خلال تفانيه الثابت في فنّ صناعة آلات الناي. كما يتمثّل شغف كرم خيري عيسى في الحفاظ على تقاليد الأجداد من خلال مهارته في صناعة آلات المطبق (المجوز) والزرنة والناي. أمّا مال الله خضر حموي، فتتركّز خبرته في فنّ صناعة الدفّ العراقيّ التقليدي.

إنّ هذه الأيدى الماهرة مجتمعة تجسّد روح التّراث الحرفيّ في نينوى. حيث أنّ حرفتهم وتفانيهم يضمنان استمراريّة التقاليد للأجيال القادمة والحفاظ على الغنى الثقافي والإرث الفنّي لمجتمعاتهم.

ماهر خليل قادر – صانع ناي

ماهر خليل قادر هو حرفيّ ماهر ينحدر من الموصل وبعشيقة وبحزاني، وهو صانع متفاني للآلات الموسيقية التي تُستخدم في الموسيقى الدينية كما أنّه متخصّص في صناعة الناي. لدى ماهر شغف كبير بحرفته وفهم عميق لتاريخ الآلة وأهميّتها.

يعتقد الإيزيديون بأنّ آلة الناي كانت موجودة في منطقة الشام منذ حوالي ألف ومئة عام، حيث يرجع أصلها إلى فترة وصول الشيخ عدي بن مسافر إلى الشام. يقوم ماهر بصناعة كل ناي يدويّاً بعناية باستخدام خشب المشمش الذي يتمّ جلبه من قضاء زاخو التابع لمحافظة دهوك. وتتميّز الآلة بهيكل خشبي مغطّى بغشاء جلدي وشريط من الصوف.

يحرص ماهر على صناعة كلّ آلة من الصفر مع الاهتمام الدقيق بالتفاصيل، وذلك التزاماً منه بالحفاظ على أصالة الناي. تستغرق عملية التصنيع حوالي 72 ساعة، ممّا يعكس تفانيه في إنتاج آلات عالية الجودة.

إنّ صنع آلة الناي بالنّسبة لماهر ليس مجرّد هواية بل ضرورة أيضاً. فبعد وفاة آخر صانع لهذه الآلة، اضطرّ المجتمع إلى الاعتماد على الواردات من تركيا. أخذ ماهر على عاتقه سدّ هذه الفجوة ومواصلة إرث صناعة الناي مدفوعاً بالرّغبة في التدريس والإبداع.

يمكن شراء آلات ماهر بسعر مئة دولار لكلّ ناي. وهو يبيعها في المقام الأول للعازفين الذين يقدّرون الأهمية الثقافية والدينية لهذه الآلة. وعلى الرّغم من التحديات والتغييرات التي طرأت على الحِرفة، فإنّ التزام ماهر بفنّه ثابت لا يتزعزع، ممّا يضمن استمرار ازدهار تقليد صناعة الناي في الموصل وبعشيقة وبحزاني.

كرم خيري عيسى - صانع زرنة ومطبق

كرم خيري عيسى هو موسيقيّ وصانع آلات موهوب في منتصف العمر من نينوى والموصل وبعشيقة وبحزاني، وهو عازف زرنة ومطبق (مجوز). لدى كرم شغف عميق بهذه الآلات التقليدية ويكرّس نفسه للحفاظ عليها.

يتخصّص كرم في صناعة وعزف آلات مثل المطبق والزرنة والناي. ورغم أنّه ليس على علم بتاريخ هذه الآلات، إلا أنّه يدرك أصولها القديمة. فيما يتعلّق بالمطبق، يتمّ صنع قطعة الفم من القصب، بينما يتمّ صنع الجسم من الخشب أو القصب أو عظم النسر، ويتمّ تثبيته بالخيوط والشمع. وتستخدم الزرنة والناي أيضاً مواد مماثلة بما فيها الخشب (القصب) أو عظم النسر والشمع والخيوط.

يرتاد كرم البراري والجبال لجمع المواد اللازمة، بالإضافة إلى شراء بعض منها من العاصمة بغداد وجنوب العراق. يصنع كل آلة من الصفر، ويخصّص ساعة إلى ساعة ونصف لإتمام العملية. ويتمّ الحصول على الشمع المستخدم في الآلات من عسل النحل.

تعدّ خبرة كرم في صناعة هذه الآلات الموسيقية بمثابة رحلة تعلّم ذاتي، حيث بدأ في سنّ مبكرة دون أيّ توجيه خارجي. وقد نقل معرفته ومهاراته إلى ابنه، معتبراً ذلك تقليداً خاصاً ضمن عائلته.

ورغم أنّ كرم لم يبع آلاته الموسيقية، إلا أنّه يعرضها للبيع. ويبلغ سعر آلة "المطبق" المصنوعة من العظم نحو أربعمئة دولار، في حين يبلغ سعر الآلات المصنوعة من الخشب نحو خمسين دولاراً. إنّ حرفيّته تعكس تفانيه ومهارته التي صقلها على مرّ السنين.

إن التزام كرم بالحفاظ على هذه الآلات التقليديّة ونقل حرفته إلى الجيل القادم يُظهر مدى تقديره العميق للتراث الثقافي في نينوى والموصل وبعشيقة وبحزاني.

مال الله خدر حمو - صانع دف

مال الله خدر حمو هو صانع آلات موسيقية متمرّس ينحدر من بعشيقة وبحزاني في العراق. لديه خبرة تزيد عن خمسين عاماً، ويتخصّص في صناعة الآلة الموسيقية العراقية التقليدية المعروفة باسم الدف. يعيش مال الله خضر حمو في نينوى والموصل وبعشيقة وبحزاني، وهو متجذّر بعمق في التراث الثقافي الغني لمنطقته.

يعدّ الدف آلة موسيقية قديمة تعود إلى عهد الشيخ الجليل عدي بن مسافر، وهي تتكون من إطار خشبي مغطّى بجلد خروف ومزيّن بحلقات نحاسيّة. ولصنع هذه الآلة، يدمج مال الله خدر حمو بمهارة بين الخشب والجلد والنحاس وحتى القمح (الجريش) حيث يشتري هذه المواد من السوق المحلية.

ورغم أنّ الدف نفسه لا يأتي مع أيّة ملحقات، إلا أنّ مال الله خدر حمو يفتخر بحرفيّته. فهو يشتري الإطار الخشبي بنفسه من نجّار ماهر، أمّا بقية الآلة فيصنعها يدويّاً بعناية ودقّة.

ينبع شغف مال الله بالدفّ من والده الذي نقل إليه معرفته ومهاراته. وتكريماً لذكرى والده، يواصل مال الله تعليم أطفاله وغيرهم في المنزل لضمان الحفاظ على فنّ صناعة الدف للأجيال القادمة.

رغم أنّ مال الله خدر حمو يكرّس نفسه لمشاركة خبرته، إلا أنّه لا يبيع دفوفه. بل ينظر إلى حرفته باعتبارها عملاً نابعاً من الحبّ ووسيلة للتواصل مع تراثه الثقافي. يركّز عمله على الفنّ والتقاليد وليس على الربح التجاري.

ج.2. النمرود، قرية التوفيقية

خصائص المجتمع

تُعدّ قرية التوفيقية الواقعة في ناحية النمرود بمحافظة نينوى في العراق شاهدة على مرور الزمن، وربّما تعود جذورها التاريخية إلى عهد النبي إبراهيم والنّمرود ممّا يزيد من أهميّتها. وعلى الرغم من عمرها التاريخي، إلا أنّ القرية تعدّ موطنا لحوالي تسعمئة شخص يحملون ثقل إرثها التاريخي.

تلعب الزراعة دوراً محورياً في المشهد المهنيّ للقرية، حيث تُعدّ الزراعة المهنة السائدة. كما يعمل العديد من الأفراد في وزارتيّ الدفاع والداخلية، ممّا يساهم في النسيج الاقتصادي للقرية. وتتداخل فيها بساطة حياة القرية مع تعقيدات العالم الحديث.

يتشكّل المشهد التعليميّ في التوفيقية من مدرسة ابتدائية واحدة، ممّا يعني أنّ على الطلاب الانتقال إلى القرى المجاورة للحصول على التّعليم الثانوي. ولكن للأسف تواجه القرية تحديّات في مجال التعليم، حيث تصل نسبة الأميّة إلى 10% وتبلغ نسبة الفقر 70%. وتظلّ هذه التحديات تلقي بظلالها على القرية، إلى جانب إرثها التاريخي.

تتوفر في قرية التوفيقية الخدمات الأساسية مثل المياه والكهرباء وخدمة الانترنت، ممّا يربط القرية بالعالم الحديث. إنّ سكّان القرية هم من العراقيين في المقام الأول، حيث تعدّ قبيلة الجبور أكبر العشائر. وتحتفل القرية بالمهرجانات الوطنية والدينية، ممّا يخلق لحظات من الشعور بالوحدة وسط التحديات التي تواجه المجتمع.

إنّ الموسيقى الشعبية التي تُعزف بآلات مثل الربابة والمطبق (المجوز) هي الموسيقى السائدة في الاحتفالات في التوفيقية. وتملأ أغاني الحصاد أيضاً الأجواء خلال المناسبات الخاصة، فتشكّل نسيجاً من الأصوات التي يتردد صداها مع جذور القرية الزراعية. وتهيمن اللغة العربية على المشهد اللّغوي في التوفيقية فلا تترك مجالاً للغات أخرى. إنّ عمر القرية الضائع في غياهب الزمن يضيف إلى سحرها ويخلق أجواء يتراقص فيها الماضي والحاضر معاً.

يعتبر المناخ في قرية التوفيقية معتدلاً، وقربها من نهر دجلة يوفّر بيئة مناسبة للأنشطة الزراعية. ولا توجد مجتمعات الغجر والدوم والبدو في القرية.

التقاليد الموسيقية

في ناحية النمرود في العراق، تتردّد في أنحاء القرية أصوات الربابة المصنوعة بشكل فريد من الصفيح المعدنيّ بدلاً من الخشب بسبب تكلفته الأرخص، وأصوات المطبق (المجوز). يحصل الموسيقيون على دخل محدود من مهنتهم الفنية، لذلك فهم في كثير من الأحيان يعملون في الفِلاحة والزراعة لتوسيع سبل العيش. وتعتبر طرق التدريس تقليدية، حيث ينقل الموسيقيون مهاراتهم إلى الجيل الأصغر سنّاً. وهناك تقبّل واسع النطاق داخل المجتمع لممارسة العزف والغناء، حيث يساهم العديد من الشعراء في كتابة الكلمات التي تُستثمر في الغناء. كما تعتزّ القرية بأغاني الحصاد وتحافظ على ارتباطها بجذورها الزراعية. تتميّز المناسبات السعيدة مثل الختان والتخرّج بإيقاعات الربابة والمطبق والطبل مع ظهور الأورغ مؤخراً. تزدهر الصناعة المحليّة للربابة باستخدام مواد مثل خشب الحور وشعر الخيل. وتعتبر أغاني الحصاد والآلات الموسيقية التقليدية جزءاً لا يتجزأ من هويّة القرية. إنّ فرصة تعلّم صناعة الآلات الموسيقية موضع ترحيب في القرية، خاصة في ظلّ التحديات الاقتصادية التي تواجهها المنطقة.

الفنّانون

تعتبر ناحية النمرود مركزاً ثقافياً مزيّناً بنسيج غنيّ من التقاليد الفنيّة. يزدهر الحرفيّون والشعراء الموهوبون في هذا المجتمع الحيويّ ويحملون إرث أسلافهم من خلال الأوساط الساحرة المتمثّلة في الموسيقى والشعر. من الألحان الرائعة في "الفراقيّات" إلى الإيقاعات المتناغمة في "العتابا"، يُضفي هؤلاء الفنّانون الموهوبون الحيوية على التقاليد القديمة، حيث تتردّد أصداء عروضهم في الشوارع الضيّقة والأسواق الصاخبة في المنطقة. إنّ هؤلاء الأفراد متّحدون بشغف عميق للحفاظ على تراثهم الثقافي، وهم مرتبطون بحبّهم الثابت للموسيقى والشعر، وبذلك يواصلون إلهام وإبهار الجماهير القريبة والبعيدة.

أحمد عبد السلام صالح – مغنّي

أحمد عبد السلام صالح هو فنّان شابّ من قرية الذيبانيّة في النمرود ويعمل في الأعمال الحرّة. أحمد متخصّص في الألوان الموسيقية مثل العتابا واللهج والزعلان. لدى أحمد رصيد موسيقي يلقى صدى واسعاً عبر مختلف المناطق وفي بعض الدول العربية مثل سوريا والأردن ولبنان. ويشير إلى الاختلافات في اللهجة والإعداد داخل هذه الألوان الموسيقية التي كانت تزيّن مناسبات خاصة تاريخياً بما فيها حفلات الزواج وختان الأطفال. في حين أنّ بعض العروض تتطلب فرقة مع آلات موسيقية مثل الربابة والمطبق والطبل والزرنة (المزمار)، فإنّ البعض الآخر يمكن أن يتمّ أداؤه بشكل منفرد. بدأت مسيرة أحمد في الغناء كهواية كان يتعلّمها بشكل غير منتظم من الأصدقاء والمعارف. ورغم أنّه لا يمتلك أيّة آلات موسيقية، إلا أنّه يبدي اهتماماً بتعلم كيفيّة استخدامها أو صناعتها. والمقام المفضل لديه هو مقام الصبا، وتدور موضوعاته الغنائية غالباً حول الفراق والحب، وكلّها باللغة العربية.

حسين الملا الجحيشي - مغنّي وعازف ربابة

حسين أحمد حسين هو شاعر من قرية التوفيقية في النمرود، يتخصّص في أنواع شعريّة مثل العتابا والسويحلي والنايل واللهج، وهي أنواع تتميّز بطبيعتها الحزينة ولا توجد في النمرود فقط بل في مناطق أخرى أيضاً. وكثيراً ما تصاحب هذه القصائد الربابة، وتظهر في حفلات الزواج والمناسبات السعيدة والختان. وقد دفع اهتمام حسين بالربابة إلى تدريسها في القرى المجاورة، والسعي إلى نشرها في المدن والمحافظات الأخرى. يقوم حسين بصناعة الربابة بنفسه، ويبيع هذه الآلات بسعر يتراوح بين عشرين إلى ثلاثين دولاراً، ممّا يدلّ على التزامه بالحفاظ على الحرف التقليدية. أمّا مقامه وإيقاعه المفضّلان فهما الصبا وجورجينا، حيث غالباً ما نجدهما في عروضه الأدائيّة التي غالباً ما تتطرّق إلى موضوعات الثراء و الغزل، وتكون بشكل أساسي باللغة العربية.

رعد سعدي إسماعيل أحمد – مغنّي

رعد سعدي إسماعيل أحمد هو عامل في الأعمال الحرّة من قرية الذيبانية في ناحية النمرود، ويقيم في حمام العليل في حي المشراق. يتخصّص رعد في ألوان موسيقية مثل العتابا واللهج والزعلان، وتمتدّ خبرته الموسيقية عبر مناطق وبعض الدول العربية مثل سوريا والأردن ولبنان. يشير إلى الاختلافات في اللهجة وطريقة الإعداد ونبرة الصوت عند أداء هذه الألوان، والاستخدام المستمر للدرجة (رقصة دائرية سريعة الإيقاع) في المناسبات الخاصة. إنّ عروضه الموسيقية التي غالباً ما تتطلّب فرقة موسيقية تتضمّن آلات موسيقية مثل الربابة والمطبق والطبل والزرنة، مصحوبة أحياناً بمغنّي. بدأت مسيرة رعد في الغناء كهواية في سنّ الثامنة عشرة حيث كان يتعلّم الغناء بشكل غير منتظم من المعارف. ورغم أنّ رعد لا يمتلك أي أدوات موسيقية، إلا أنّه يعبّر عن رغبته في تعلّم كيفية استخدامها أو صنعها. تتناول موضوعاته الغنائية بشكل أساسي الفراق والحب، ويؤدّيها حصريّاً باللغة العربية.

عبد الرزاق مهدي صالح – مغنّي

عبد الرزاق مهدي صالح هو شابّ من قرية الذيبانية في النمرود يعمل في الأعمال الحرّة، يتخصّص بشكل أساسي في الفراقيّات. وتنتشر هذه الأنواع الموسيقية في بلدان أخرى مثل سهل نينوى وجنوب الموصل وسوريا ولبنان، وتزيّن المناسبات الدينية والاجتماعية مثل الجنائز. يعتبر عبد الرزاق الشعر موهبة وهواية، ويقوم بتعليم هذا الفنّ للآخرين بشكل نشط. هو لا يمتلك أي آلات موسيقية لكنّه يعبّر عن رغبته في تعلّم كيفية استخدامها أو صنعها.

عمار عبد السلام صالح – مغنّي

عمار عبد السلام صالح هو شابّ في منتصف العمر يقيم في الموصل في النمرود ويعمل في الأعمال الحرّة، يتخصّص في فنّ الفرقيات والزجل. تتميّز هذه الأنواع من الأغاني باللّهجة الريفية والطابع الحزين، وتظهر في المناسبات السعيدة والحزينة والختان وحفلات الخطوبة والجلسات. رغم أنّ عمار لا يعزف على أي آلة موسيقية إلا أنّه يعتبر الشعر موهبة ينقلها إلى الآخرين. وغالباً ما تتضمّن عروضه الغنائية كلمات قديمة حيث يعتبرها الأجمل، وتكون باللغة العربية في الغالب.

عمار ابراهيم أحمد

عمار إبراهيم أحمد هو شابّ في منتصف العمر يقيم في الموصل في النمرود ويعمل في الأعمال الحرّة. يتخصّص عمار في الفرقيّات مع وجود اختلاف في اللهجة فقط. يتميّز أداؤه الموسيقي بالطابع الحزين الذي يميّز المنطقة. يقدّم عمار عروضه في المناسبات الدينية والاجتماعية، ويمكن تقديمها منفرداً أو مع فرقة. على الرغم من أنّه لا يعزف على أي آلة موسيقية بنفسه، إلا أنّه ينقل الشعر كموهبة إلى الآخرين.

محمد حسن مصطفى حسن المعماري – مغنّي وصانع ربابة

محمد حسن مصطفى حسن المعماري هو شابّ في منتصف العمر من قرية كاني حرامي في النمرود ويعمل في الأعمال الحرّة. يتخصّص محمد في ألوان موسيقية مثل العتابا والسويحلي والنايل والزعلان. تتواجد هذه الأنواع الموسيقية في المناطق المجاورة وأيضاً في مختلف البلدان العربية، وتظهر اختلافات طفيفة في الأداء والكلمات. ويشير محمد إلى استخدام رقصة الدرجة (رقصة دائرية سريعة الإيقاع) التي يتمّ أداؤها في حفلات الزواج والمناسبات السعيدة، مصحوبة في كثير من الأحيان بآلات موسيقية مثل المطبق والزرنة. ورغم أنّ محمد تعلم حرفته من خلال سماع الراديو والتلفاز، إلا أنّه يعلّم هذا الفن أيضاً للجيل الأصغر سنّاً. يقوم محمد بتصنيع الربابة بنفسه، ويبيع هذه الآلات بسعر يتراوح بين اثنين وعشرين إلى خمس وعشرين دولاراً، ممّا يعكس التزامه بالحفاظ على الحرف التقليدية.

محمد سعدي صالح – مغنّي

محمد سعدي صالح هو شابّ من قرية الذيبانية في النمرود يعمل في الأعمال الحرّة، ويتخصّص في الفراقيّات بشكل رئيسي. تتميّز هذه الألوان الموسيقية باللّهجة الريفية، وهي لا توجد في النمرود فحسب بل في مناطق أخرى أيضاً مثل سهل نينوى وجنوب الموصل وسوريا ولبنان. يؤدّي محمد عروضه في المناسبات الدينية والاجتماعية مثل الجنائز، ويمكن أن تكون مصحوبة بآلات موسيقية أو موسيقى. ورغم أنّه لا يعزف على أي آلة موسيقية بنفسه، إلا أنّه يعلّم هذا الفن للآخرين بشكل نشط.

هيام جاسم محمد الجبوري (قطر الندى) – مغنّية

هيام جاسم محمد الجبوري هي ربّة منزل من النمرود وتقيم في أربيل. تبلغ هيام من العمر 49 عاماً وتُعرف أيضاً باسمها الفنّي قطر الندى. تتخصّص في ألوان موسيقية مثل العتابا والسويحلي والنايل والحصاد واللهج. تتميّز هذه الأنواع الموسيقية الموجودة في سوريا والأردن ولبنان وفلسطين بطابعها الحزين ونبرة الصوت. تؤدّى عروض هيام في مناسبات مختلفة مثل المناسبات السعيدة والجلسات الخاصة، ويمكن أن تتضمّن آلات مثل الربابة والمطبق. رغم أنّ هيام لا تعزف على أي آلة موسيقية، إلا أنّها تنخرط في التأليف. وتتناول عروضها الغنائية التي تؤدّى باللغة العربية بشكل أساسي مواضيع الحزن والعتاب، وغالباً ما تكون باللّهجة الريفية.

صانعو الآلات الموسيقيّة

يضمّ هذا القسم فنّانَين موهوبَين هما حسين أحمد حسين حساني ومحمد حسن مصطفى حسن المعماري. في حين أنّ حسين هو شاعر مشهور وخبير في العزف على آلة الربابة التقليدية، فإنّ محمد هو فنان مستقل لديه شغف في تصنيع نفس الآلة والعزف عليها. في هذا القسم، سوف نتعمّق في خلفيّاتهم ومهارتهم وتجاربهم في عالم الفن. انضمّوا إلينا لاستكشاف العالم الرائع لهذين الفنّانَين ومساهماتهما في المشهد الثقافي في النمرود.

حسين أحمد حسين حساني - صانع ربابة

حسين أحمد حسين حساني هو شاعر يبلغ من العمر خمسين عاماً من قرية التوفيقية في النمرود، وهو معروف ببراعته في العزف على آلة الربابة التقليدية. تعود أصول الربابة إلى بلاد فارس، وتمّ تناقلها عبر شيوخ القبائل والعرب الرحّالة والغجر. يقوم حسين بصناعة الربابة باستخدام موادّ مثل الصفيح المعدني وأوراق النخيل والخشب وسيخ الحديد وعلكة الماء وأغصان الأشجار. يقوم بإعادة تدوير هذه المواد يدويّاً لصنع الآلة. يتمّ تصنيع رقبة الربابة من خشب الحور، بينما يفضّل صنع القوس من عود نبتة الطرفة. تُصنع الأوتار والقوس من شعر الخيل، ويفضّل أن يكون من حصان أصيل. ويحرص حسين على تحضير شعر الخيل بعناية شديدة، وذلك بنقعه في الماء والملح لمدة 24 ساعة. يقوم بعد ذلك بتركيب الأوتار بشكل متساوي على الربابة ويضع عليها علكة الماء وهي خطوة مهمّة من أجل العزف على الآلة. يقوم حسين بصناعة القوس بنفسه، وهو عنصر أساسي لعزف الربابة. وقد قام بصنع الربابة وبيعها لسنوات عديدة، وقد شهد زيادة في الطلب عليها مؤخّراً. ويبيع الآلة للأفراد حسب الطلب، وقد باعها في مصر والأردن.

محمد حسن مصطفى حسن المعماري - صانع ربابة

محمد حسن مصطفى حسن المعماري هو فنّان من ناحية النمرود وتحديداً من قرية كاني حرامي ويعمل في الأعمال الحرّة. يعتقد محمد أنّ الربابة نشأت في بلاد فارس وانتقلت عبر الغزوات والثقافات والرحّالة. يصنع الربابة باستخدام مواد مثل الصفيح المعدني وأعواد خشبية وأسياخ حديدية وشعر ذيل الحصان ومادّة علكة الماء، وتتألف الآلة أيضاً من القوس والغزالة (الجسر). يجلب محمد هذه المواد من السوق المحلية ويقوم أحياناً بإعادة تدوير تنكات الزيت الفارغة. يقوم بصناعة الربابة من الصفر دون استخدام مواد جاهزة. يصنع القوس من الخشب ويصنع الوتر من شعر ذيل الحصان. وقد قام محمد بصنع الربابة وبيعها لسنوات عديدة. كما قام بتعليم الآخرين كيفية صنع هذه الآلة ويخطّط لتعلّم العزف عليها في المستقبل. ويقوم محمد ببيع الربابة حسب الطلب، وقد باعها في السعودية والدول العربية المجاورة. وأشار إلى أنّ الطلب على هذه الآلة ارتفع مقارنة بالسنوات السابقة، وتتراوح أسعار الربابة حسب جودتها بين اثنين وعشرين وخمس وعشرين دولاراً.

ج.3. البصرة، قرية جيكور

خصائص المجتمع

تقع قرية جيكور في قضاء أبو الخصيب في البصرة في العراق، وهي عبارة عن نسيج حيويّ من الضيافة والتقاليد. يبلغ عدد سكّان القرية ما بين 55 ألف إلى 62 ألف نسمة، وهي تمثّل فسيفساء من التنوّع في محافظة البصرة، مع توازن بين الجنسين حيث تبلغ نسبة الذكور 45% وتبلغ نسبة الإناث و55%.

تشكّل الزراعة والتجارة وصيد الأسماك والأعمال الحرّة النسيج الاقتصادي لقرية جيكور، ممّا يعكس اعتماد

المنطقة على الأرض. وتكمن قوة القرية في نسيجها القبلي، حيث تحظى العلاقات الاجتماعية والتواصل بتقدير كبير، ممّا يعزز الشعور بالوحدة بين أفراد المجتمع.

إنّ المؤسّسات التعليميّة التي تقدّم مستويات مختلفة من التعليم تشكّل النسيج التعليميّ لقرية جيكور. لكن لا تزال التحديات قائمة، حيث يتراوح معدّل الأميّة بين 15% و18% ويصل معدّل الفقر إلى 32%. وفي خضمّ هذه التحديات، تعدّ إمكانية الوصول إلى الماء والكهرباء والإنترنت بمثابة شرايين حياة.

تتداخل الألوان الثقافية في نسيج قرية جيكور مع المناسبات الدينية والمهرجانات الوطنية وحفلات الزواج والختان والاحتفالات الأسبوعية مثل التعليلة التي تتخلّل التقويم الثقافي. حيث تتحوّل جلسات الغناء والموشّحات الدينية والتلاوات القرآنية إلى تعابير روحانية في المناسبات السعيدة والحزينة.

يتميّز الطابع اللّغوي لقرية جيكور باللّهجة البصراويّة، وهي لهجة عربيّة عاميّة تعزّز التواصل بين أفراد المجتمع. تمّت المحافظة على جذور القرية وتقاليدها التاريخية، حيث اكتسبت قرية جيكور شهرة من خلال الشاعر الكبير بدر شاكر السياب.

يتميّز مناخ قرية جيكور بالحرّ والرطوبة وهو مناخ تتميّز به مدينة البصرة، حيث يهيّئ الظروف المناسبة للأنشطة الزراعية. وتظلّ الروابط الاجتماعية والضيافة جزءاً لا يتجزأ من ديناميكيات القرية، ممّا يخلق جوّاً تزدهر فيه العادات الموروثة من الأجداد.

في حين أنّه لا يوجد أيّ من الغجر أو الدوم في قرية جيكور، يتواجد البدو بنسب قليلة وهم يتعايشون ضمن نسيج المجتمع. ويضيف التفاعل مع البدو تنوّعاً إلى الديناميكيات الاجتماعية للقرية.

تقف قرية جيكور في قلب البصرة كشهادة حيّة على حسن الضيافة والتقاليد والقوّة الدائمة لمجتمع متناغم عبر نمط الحياة الزراعية والروابط الاجتماعية القوية.

التقاليد الموسيقية

تعدّ موسيقى الخشابة الأكثر شيوعاً في قلب مدينة البصرة العراقيّة. يساهم عازفو آلات العود والكاسور إلى جانب المغنيّن في المشهد الموسيقي النابض بالحياة. ورغم أنّ الموسيقى ليست خاصّة بمواسم محدّدة، فإنّ المجتمع على الرغم من طبيعته العشائرية يتقبّل ألحان الاحتفال والفرح خلال حفلات الزواج والاحتفالات الأخرى. في الماضي، كانت هناك أغاني خاصّة بموسم الزراعة والحصاد، لكنّ الموسيقى الآن تجاوزت الحدود الموسمية. وتتميّز مناسبات الولادة والختان والاستقبالات بألحان العود والكاسور والإيقاع والناي والأورغ. تُعتبر الصناعة الحرفيّة في البصرة محدودة، ويتمّ تصنيع بعض الآلات الموسيقية حسب الطلب. تدخل بعض المواد الخامّ مثل الفخار والخشب والغراء والبلاستيك في عملية التصنيع. وعلى الرغم من التحدّيات الاقتصادية، فإنّ المجتمع يعبّر عن رغبته القوية في تعلّم الموسيقى وصناعة الآلات الموسيقية إذا توفرت الموارد اللازمة.

الفنّانون

في قرية جيكور وفي مدينة البصرة بشكل عام، يؤدّي أغلب الفنّانين فنّ الخشابة ويشكّلون عدّة فرق موسيقية تقدّم هذا الفنّ في مناسبات مختلفة. من ياسين صالح العبود إلى جبار كاظم جبار وغيرهم الكثير، تُظهر أصوات العود والكاسور شغفهم العميق بالحفاظ على تراثهم الثقافي.

جبار كاظم جبار - مغنّي وعازف عود

جبار كاظم جبار هو مغنّي وعازف عود في منتصف العمر من قرية جيكور في قضاء أبو الخصيب في البصرة. يتخصّص في فنّ الخشابة ويقود فرقة موسيقيّة شعبيّة تقدّم هذا النوع على وجه التحديد. بالنّسبة لجبار، إنّ أشهر المقامات في البصرة هي الحكيمي والبهيرزاوي، أمّا الإيقاع الأكثر شهرة فهو الخشابة (الذي يتمّ عزفه بآلة الكاسور بشكل رئيسي). لم يجرّب جبار صناعة العود بل يشتريه عادة من السوق المحلية في البصرة.

عدنان الساهر - عازف متعدد الآلات

عدنان الساهر هو مغنّي وعازف ناي ومطبق يبلغ من العمر 57 عاماً من قرية جيكور في قضاء أبو الخصيب، وهو مؤسّس مدرسة للفنون الشعبية في البصرة. وهو أيضاً عضو في فرقة خشابة تقدّم عروضها بشكل رئيسي في البصرة وما حولها. يقوم عدنان بصناعة الناي والمطبق بنفسه، حيث يشتهر قضاء أبو الخصيب بوفرة القصب. ومثل العديد من الفنّانين الشعبيّين في البصرة، يسعى عدنان إلى الحفاظ على تراث أرضه وآلاتها وموسيقاها الأصيلة.

عقيل خضير - عازف عود

عقيل خضير هو عازف عود يبلغ من العمر 43 عاماً وهو من قرية جيكور في قضاء أبو الخصيب في البصرة. بدأ بتعلّم وتطوير مهاراته في سنّ متقدمة بسبب شغفه بالموسيقى، وتحديداً الموسيقى التقليدية والشعبية. وبحسب عقيل فإنّ أشهر المقامات في البصرة هي البهيرزاوي والحكيمي والمثني. أمّا فيما يتعلّق بالإيقاعات، فإنّ الخشابة والجورجينا والصوت هي الضروب الإيقاعية الأكثر استخداماً.

ناصر بدن – مغنّي

ناصر بدن هو فنّان ومحاضر في كلية الفنون الجميلة في البصرة وهو من قرية جيكور في قضاء أبو الخصيب في البصرة. يركّز ناصر على تأثير فنون الخليج والدول العربية الأخرى على الفنون الشعبية في البصرة بسبب موقعها الجغرافي، مسلطاً الضوء على ألوان موسيقية مثل الهيوه والنكازي والسامري، بالإضافة إلى ألوان الإيقاعات والمقامات. ويتمّ عادة أداء هذه الألوان الموسيقية في المناسبات الاجتماعية والعائلية.

حسين عبد العباس - عازف متعدّد الآلات

حسين عبد العباس هو عازف كمان وفيولا شابّ ومعلّم موسيقى من قرية جيكور في قضاء أبو الخصيب في البصرة. يوضّح حسين الاختلافات في الألوان الموسيقية المستخدمة في جنوب العراق حسب المناسبة سواء كانت دينية أو اجتماعية. على سبيل المثال، يستخدم المجتمع الشيعي "الردّات الحسينية" إلى جانب "اللّطم" الذي يتضمّن ضرب الصدر باليد بشكل إيقاعي. وفي الوقت نفسه، يستخدم أهل السنّة الموسيقى الصوفية، وفي المناسبات الاجتماعية يؤدون ألواناً موسيقية مثل الخشابة والهيوه.

ياسين صالح العبود – ملحّن

نختتم شهادات فنّاني قرية جيكور بشهادة خاصّة. ياسين صالح العبود هو رجل من مواليد عام 1927 ويُعتبر أوّل مدرّس موسيقى ومؤلّف موسيقي في قضاء أبي الخصيب، حيث بدأ بتدريس الموسيقى في مدارس البصرة عام 1947. قام بتطوير مهاراته ومعرفته الموسيقيّة بنفسه، وكوّن فرقة موسيقيّة ضمّت آلات الكمان والعود والناي والإيقاع، حيث كان كلّ عضو في هذه الفرقة يعزف على الآلات الأربع. خلال مسيرته الفنيّة، ألّف ياسين أربعة عشر أوبريتا وقام طلابه بأدائها. ويُعتبر ياسين مرجعاً تاريخياً وموسيقياً في قضاء أبي الخصيب وفي البصرة بشكل عام.

صانعو الآلات الموسيقيّة

إنّ هذا القسم مخصّص لصانعي الآلات الموسيقية الموهوبين في قضاء أبو الخصيب في العراق. سنتعمّق الآن في حرفيّة ومهارة ناظم كاظم عبود الذي يعدّ جزءاً من هذا المجتمع الحيويّ الذي يلتقي فيه البحر بفنّ الموسيقى.

ناظم كاظم عبود – صانع كاسور

ناظم كاظم عبود هو بحّار ماهر وصانع آلات موسيقية ينحدر من قضاء أبو الخصيب في العراق. بفضل ارتباطه العميق بالبحر وشغفه بالموسيقى، يتخصّص ناظم في صناعة آلة الكاسور المعروفة أيضاً باسم الخشابة. كان الكاسور يُستخدم في الأصل من قِبل البحّارة، وكان يتمّ صنعه عن طريق تثبيت جلدة علوية على قاعدة جاهزة باستخدام الغراء. تتضمّن صناعة الآلة استخدام قوالب الفخار والطين والجلد واستخدام الغراء لتجميع الآلة. لا يحتاج الكاسور إلى أي ملحقات إضافية ويُستخدم عادةً من قِبل الفرق الشعبية أثناء رحلاتهم. يعزف ناظم على الكاسور بشكل احترافي إلى جانب عزفه على الطار في فرقته الشعبية، ويفتخر بصيانة جلد الآلة واستبداله حسب الحاجة. في حين أنّ ناظم لا يبيع آلة الكاسور إلّا أنّه يصنعها حصرياً لاستخدامها من قبل فرقته. ويختلف سعر الآلة حسب المواد المستخدمة، حيث يبلغ سعر المواد المستوردة خمسة وثلاثين دولاراً، بينما تبلغ تكلفة المواد المصنّعة 3.5 دولاراً فقط. ومع تزايد الحريّة الممنوحة للفرق الشعبية لممارسة أنشطتها في السنوات الأخيرة، شهدنا ارتفاعاً ملحوظاً في عدد محلاّت بيع الآلات الموسيقية، الأمر الذي دعم المشهد الموسيقي الحيويّ في المنطقة.

د. الأردن

د.1. الطيبة

خصائص المجتمع

الطيبة هي قرية خلّابة تقع في محافظة إربد في الأردن. تقع على بعد 18 كم غربيّ إربد و80 كم من عمّان، وتوفّر إطلالات خلّابة على جبال الأردن. تقع الطيبة على ارتفاع 385 متراً فوق مستوى سطح البحر. وتعتبر إدارياً مركز لواء الطيبة التابع لمحافظة إربد وتقع ضمن حدود بلديّة الطيبة الجديدة.

بلغ عدد سكان الطيبة 60,970 نسمة حسب إحصائية عام 2022، مع توزيع متوازن بين الجنسين حيث تبلغ نسبة الإناث 51٪ وتبلغ نسبة الذكور 49٪. تتميّز القرية بمشهد اقتصادي متنوّع يشمل الزراعة والتجارة والمهن الصناعية. إنّ هذا المزيج المتناغم بين التقاليد وجمال الطبيعة يجعل الطيبة وجهة فريدة من نوعها في غور الأردن.

يتمتّع لواء الطيبة بمنظومة تعليميّة قويّة، حيث يبلغ إجمالي عدد المدارس فيه 41 مدرسة، منها 29 مدرسة تابعة لوزارة التربية والتعليم و12 مدرسة خاصة. يضمّ اللواء مجموعة متنوّعة من المدارس بما فيها 27 مدرسة مختلطة و10 مدارس للبنين و4 مدارس للبنات. لكن على الرغم من هذه الجهود التعليميّة، لا يزال معدل الأميّة عند 1%، ويؤثّر الفقر على 10% من السكّان.

ويتجلّى الغنى الثقافي للواء الطيبة في العشائر البارزة داخل المجتمع مثل عشيرة القرعان والعلاونة والهياجنة وغيرها. ويتمّ الاحتفال بالأعياد الدينية بما فيها عيد الأضحى وعيد الفطر والإسراء والمعراج والمولد النبوي الشريف، حيث يتمّ ذلك بإقامة الخطب والتكبيرات وتوزيع الحلوى والزيارات المجتمعيّة.

تعتبر حفلات الزواج في الطيبة ذات جذور عميقة في التقاليد، وتصاحبها الموسيقى التقليدية التي تضمّ آلات مثل المجوز والشبّابة/ المنجيرة والعود والطبل والمهباج. إنّ هذه الألحان العذبة تثري الأجواء الاحتفالية وتعكس أيضاً التراث الثقافي للمنطقة. فإنّ حفلات الزواج ليست مجرد مناسبات خاصّة بالعروسَين، بل هي مناسبات تجمع معاً المجتمع بأكمله.

تلعب اللّغة دوراً مهمّاً في هذه الاحتفالات، حيث يتمّ التحدث باللغة العربية العاميّة بما فيها اللّهجة الريفيّة الشائعة. وتعمل هذه الوحدة اللّغوية على تعزيز التواصل وتقوية الشعور المجتمعي بين سكّان الطيبة.

تتمتّع منطقة الطيبة بتاريخ غنيّ، حيث تمّ تأسيسها كقضاء في عام 1986 وتوسّعت في عام 1996 لضمّ مناطق مختلفة داخل محافظة إربد. يُضفي مناخ المنطقة المعتدل على سحرها الجغرافي، حيث تتمتّع بطقس لطيف على مدار العام سواء في فصل الشتاء أو الصيف. ولدى قرية الطيبة أيضاً أوجه تشابه مع المجتمعات البدويّة القريبة، ممّا يؤكد على أهميّة المناسبات المشتركة والروابط القويّة مع المجتمعات المجاورة.

التقاليد الموسيقية

في منطقة الطيبة في الأردن، ثمّة آلات موسيقية تقود التقاليد الثقافية مثل اليرغول والمهباج، وألوان موسيقية مثل الهجيني، ممّا يخلق تقليداً موسيقياً مفعماً بالحيويّة. رغم أنّ الموسيقى قد لا تشكّل المصدر الرئيسي للدخل بالنسبة للعديد من الناس، إلا أنّها شكل فنيّ عزيز يتمّ تناقله عبر الأجيال. يحتضن المجتمع الموسيقى ويقدّر العادات والتقاليد القديمة ويحافظ عليها. تتردّد أصداء الأصوات الساحرة للشبّابة والمجوز والطبل والعود واليرغول والمهباج في المشهد الثقافي. وفي حين يتمّ جلب الآلات الموسيقية غالباً من المدن الكبرى، إلّا أنّ صنع المهباج يظلّ فناً محلياً يعكس تمسّك المجتمع بإرثه. وعلى الرغم من التحديات التي يفرضها نقص المواد الخام، يظلّ شغف الناس بتعلّم هذه الحرفة العريقة والحفاظ عليها راسخاً.

الفنّانون

تزدهر مجموعة من التقاليد الموسيقية في الطيبة وتعكس جوهر مجتمعها الروحي. يتمتّع سكّان الطيبة بتراث موسيقيّ غنيّ يمتدّ عبر أجيال من الفنّانين المخضرمين إلى المواهب الناشئة. يستمدّ هؤلاء الموسيقيون الإلهام من موضوعات الغزل والحصاد والفراق والفرح، وينسجون ألحاناً آسِرة تلقى صدى لدى الجماهير في حفلات الزواج والجلسات الشبابية والاحتفالات التقليدية. سواء كانوا يعزفون على المهباج أو الشبابة أو اليرغول أو كانوا يصنعون آلاتهم الموسيقية الخاصّة، فإنّ كلّ فنّان يجلب منظوراً فريداً وشغفاً إلى المشهد الموسيقي الحيويّ في الطيبة، ممّا يثري النسيج الثقافي لهذا المكان.

رائد حامد موسى العنوز – مغنّي

رائد حامد موسى العنوز هو اختصاصي كهرباء يبلغ من العمر ستاً وأربعين عاماً ويقيم في قرية صما في لواء الطيبة. بالإضافة إلى لون الهجيني، يؤدّي رائد أيضاً العتابا والدلعونا والزجل والشعبي. غالباً ما تُؤدّى عروضه في الأعراس والسهرات الشبابية والتعليلة (تجمّع مسائي في الهواء الطلق) والمناسبات الاجتماعية. إنّ اللون

الغنائي الذي يؤديه رائد يتطلّب فرقة فيها عدّة آلات موسيقية مثل الأورغ والمجوز واليرغول والشبابة والعود والربابة. إنّه موسيقيّ علّم نفسه بشكل ذاتيّ ويتبادل المعرفة أحياناً مع أصدقائه. تدور كلمات أغانيه غالباً حول موضوعات الغزل والحصاد والفراق والمطر والمدح والذم، وكلّها تكون باللغة العربية. تتميّز عروضه باللهجات الساحلية الشائعة في محافظة العقبة، كما يعتمد بشكل أساسي على الكلمات القديمة.

شيخة نهار يوسف القماج - مغنّية

شيخة نهار يوسف القماج تبلغ من العمر سبعاً وستّين عاماً وتقيم في مندح في لواء الطيبة ولا تعمل بوظيفة رسميّة. تتخصّص في اللون الموسيقي الهجيني الذي يحظى بشعبية كبيرة في كافة أنحاء البلاد ومناطق أخرى من بلاد الشام. تؤدّي شيخة لون الهجيني بشكل أساسي في الأعراس والسهرات الشبابية والتعليلة. إنّ شيخة مغنّية موهوبة ورثت موهبتها الموسيقية من أخيها محمود، وتفضّل عزف آلة المهباج. تدور كلمات أغانيها غالباً حول موضوعات العتاب والفراق والفرح والمطر والحصاد. تتميّز عروض شيخة باستخدام اللّهجة الريفيّة وكلمات الأغاني القديمة.

عبدالله دويكات - مغنّي

عبدالله دويكات يبلغ من العمر خمساً وثلاثين عاماً ويقيم في قرية صما في الطيبة. يعمل كفنّان شعبيّ ويتخصّص في اللون الموسيقي الشعبي المشترك بين كافة مناطق المملكة، بما في ذلك الهجيني والعتابا والدلعونا والزجل. يؤدي عبدالله عروضه بشكل متكرّر في الأعراس والسهرات الشبابية والتعليلة. كانت الموسيقى من هواياته منذ الطفولة، وفي بعض الأحيان كان يشارك مهاراته مع أصدقائه. يركّز عبدالله في عروضه على مواضيع الفراق والغزل والحصاد، ويستخدم اللّهجة الريفيّة ويدمج كلمات الأغاني القديمة في موسيقاه.

عبدالله فيصل أحمد الخطيب - عازف متعدّد الآلات

عبدالله فيصل أحمد الخطيب يبلغ من العمر تسعة عشر عاماً، يقيم في الطيبة وليس لديه وظيفة. يتخصّص في اللون الشعبي المشترك بين كافة مناطق المملكة وخاصة اللون الهجيني والعتابا. يؤدي عبدالله عروضه في الأعراس والسهرات الشبابية والتعليلة مع فرقة تستخدم آلات موسيقية مثل المجوز واليرغول والطبلة. يقوم بصناعة آلاته الموسيقية بنفسه ويركّز في عروضه على موضوعات الفراق والغزل والحصاد. يستخدم عبد الله مقام الصبا ومقام البيات ويدرك الاختلافات في درجات المقامات.

علي الذيب يوسف غنيم - مغنّي وعازف مهباج

علي الذيب يوسف غنيم يبلغ من العمر سبعا وسبعين عاماً، وهو سائق شاحنة متقاعد يقيم في الطيبة. يتخصّص في لون الهجيني الموسيقي الذي يحظى بشعبية كبيرة في جميع أنحاء البلاد. يعزف علي في الأعراس والتعاليل والسهرات الشبابية، ويفضّل العزف على آلة المهباج التي ورثها عن أخيه الراحل. تدور عروض علي غالباً حول موضوعات الغزل والحصاد والصيد والمطر والفراق. وهو يدمج اللّهجة الريفية ويستخدم كلمات قديمة في موسيقاه.

عمر أحمد محمد الجداية - عازف مجوز

عمر أحمد محمد الجداية يبلغ من العمر ثلاثا وأربعين عاماً، وهو مزارع يقيم في قرية صما في الطيبة، ويتخصّص في موسيقى الهجيني والدبكة. تعلّم العزف على آلة المجوز من أخيه محمد. غالباً ما تتناول عروض عمر موضوعات الفراق والغزل والعتاب. وهو يدمج اللّهجة الريفية وكلمات الأغاني القديمة في موسيقاه.

عمر طه أحمد الجداية - عازف مجوز

عمر طه أحمد الجداية يبلغ من العمر 28 عاماً، وهو فنّان متميّز يقيم في قرية صما في الطيبة. يتخصّص في الموسيقى الشعبية الغنيّة المنتشرة في جميع أنحاء البلاد، مع التركيز بشكل خاص على ألوان "العتابا" و"الدلعونا" و"الهجيني". يسحر عمر الجماهير في الأعراس والسهرات الشبابية بأدائه المذهل على آلة المجوز. تزدان مؤلفاته الموسيقية بفهمه العميق للمقامات، ممّا يتيح له استكشاف أدقّ تفاصيل هذه السلالم اللّحنية. تزداد عروض عمر تألّقاً باستخدامه اللّهجة الريفية وتوظيفه للكلمات القديمة، ممّا يُضفي على أدائه طابعاً أصيلاً ويبعث في مستمعيه شعوراً عميقاً بالحنين.

عمر محمود مروان – مغنّي

عمر محمود مروان يبلغ من العمر خمسين عاماً، وهو موسيقي موهوب في مجال الموسيقى الشعبية ويقيم في مندح في الطيبة. يُعدّ عمر من الفنانين المطلوبين في الأعراس والسهرات الشبابية والتعاليل. صقل مهاراته الصوتية الاستثنائية على مدى سنوات من التعلّم على يد والده، ويميل إلى الألحان العذبة التي تنتجها آلة اليرغول. يُضفي عمر على أدائه الموسيقي أجواء آسرة تنبض بالحنين من خلال توظيف اللّهجة الريفية والكلمات القديمة.

محمد محمود دويكات - عازف مهباج

محمد محمود دويكات يبلغ من العمر أربعا وستّين عاماً، وهو متقاعد من القوات المسلّحة الأردنية ويقيم في قرية صما في الطيبة. يتقن العزف على آلة المهباج التي تحتلّ مكانة بارزة في مختلف الأنماط الفلكلورية. يُعدّ محمد وجهاً مألوفاً في الأعراس والسهرات الشبابية والتعاليل، حيث توارث مهاراته الموسيقية عبر الأجيال امتداداً لجدّه ووالده. بفضل موهبته الموروثة وفهمه العميق لهذه الآلة، يجسّد محمد ببراعة معاني المدح والرثاء والعتاب في أدائه. إنّ استخدامه للّهجة الريفية يُضفي على موسيقاه طابعاً أصيلاً، ممّا يخلق ارتباطاً عميقاً مع جمهوره. ورغم التفاوت في قِدَم الكلمات التي يؤدّيها، فإنّ براعته في استكشاف أدقّ درجات المقامات تتجلّى بوضوح في عروضه الآسِرة.

محمود نهار يوسف القماج - مغنّي وعازف مهباج

محمود نهار يوسف القماج يبلغ من العمر سبعين عاماً، وهو متقاعد من القوات المسلّحة الأردنية ويعيش حياة مليئة بالعطاء كمزارع وراعٍ في الطيبة. يتخصّص في اللون الهجيني الساحر، حيث يأسر قلوب الجمهور في الأعراس والأمسيات الشبابيةً والتعاليل والمناسبات المختلفة. وقد اكتسب مهاراته الموسيقية من خلال الجمعات والجلسات حول النار حيث تعلّم من الأصدقاء والأهل، وهو يحمل بفخر إرث أسلافه من خلال العزف على آلة المهباج. إنّ فهم محمود العميق لموضوعات مثل الفراق والغزل والعتاب يسمح له باستحضار مشاعر عميقة في نفوس مستمعيه. ومن خلال توظيفه للّهجة الريفية واستلهامه من الكلمات القديمة، يخلق محمود تجربة آسرة

تنقل جمهوره إلى عصر مضى. كما أنّ براعته في صناعة الآلات الموسيقية تُظهر تفانيه في الحفاظ على التقاليد الموسيقية الغنيّة في المنطقة.

معتصم جبر محمد دويكات - عازف شبابة

معتصم جبر محمد دويكات هو فنّان شعبي موهوب يبلغ من العمر ثلاثين عاماً ويقيم في قرية صما في الطيبة. يتخصّص في مجموعة واسعة من الألوان الموسيقية بما فيها العتابا والدلعونا والزجل والهجيني، وتُؤدّى عروضه غالباً في الأعراس والسهرات الشبابية والتعاليل. معتصم موسيقي تعلّم بنفسه ويجد سعادته في عزف آلة الشبابة. يشتري آلته من صانع ماهر في المنطقة ولديه فهم عميق لاختلافات درجات المقامات. تُعرف عروض معتصم بأصالتها واستخدامها للّهجة الريفيّة التقليديّة وتوظيفها للكلمات القديمة.

نهى فوزي كايد العلاونة - مغنّية وعازفة مهباج

نهى فوزي كايد العلاونة تبلغ من العمر تسعا وثلاثين عاماً، وهي ربّة منزل تقيم في الطيبة. تتخصّص في اللون الهجيني وتتقن بشكل خاص العزف على آلة المهباج. غالباً ما تؤدّي نهى عروضها في الأعراس وحفلات الحنّاء والسّهرات النسائية. وقد استوحت إلهامها في العزف على المهباج من الأصوات الإيقاعيّة التي يصدرها الهاون والمدقّة التي كانت عمّة والدها تستخدمها. ورثت نهى المهباج عن أجدادها، حيث كان جدّها يصنع الآلة. وتدمج نهى موضوعات الغزل والصيد والفراق في عروضها، حيث تستخدم اللّهجة الفلّاحيّة والكلمات القديمة في موسيقاها.

يامن أحمد محمد العلاونة – مغنّي وعازف شبابة

يامن أحمد محمد العلاونة هو شابّ يبلغ من العمر ثلاثة عشر عاماً ويقيم في الطيبة، ورغم أنّه لا يمارس مهنة محدّدة إلا أنّه يشارك بشكل ناشط في المشهد الموسيقي ويستمتع بالمشاركة في الفعاليات الثقافية المختلفة. يتخصّص في الغناء والأداء ضمن فرقة تتكوّن من مجموعة متنوّعة من الآلات الموسيقية، بما فيها المجوز واليرغول والطبلة. اشتهر يامن بأدائه لألوان موسيقية مثل العتابا والدلعونا والزجل والهجيني التي تحظى بشعبيّة في جميع أنحاء البلاد. تعلّم اللّون الموسيقيّ من صديقه عبدالله، وفي بعض الأحيان يصنع آلاته الموسيقية بنفسه. يفضّل يامن صناعة الآلات الموسيقية لأنّه يستمتع بالعملية ويؤمن بقدرته على صنع آلات عالية الجودة. تتميّز عروض يامن بأصالتها وبراعتها واستخدامها للكلمات القديمة. وعلى الرغم من أنّ يامن مُلمّ بالمواضيع الشائعة في الموسيقى الأردنية الشعبيّة، إلا أنّه لا يمتلك معرفة تفصيلية حول درجات المقامات.

صانعو الآلات الموسيقيّة

ثمّة مجتمع من الحرفيّين المهَرة في الطيبة ممّن يحافظون على فنّ صناعة الآلات الموسيقية التقليدية. هؤلاء الحرفيّون يمثّلون التراث الغنيّ والفنّ في صناعة الآلات الموسيقية التقليدية في الطيبة، كلٌّ بطريقته الفريدة واهتمامه بحرفته. وبينما قد تختلف دوافعهم، إلا أنّ التزامهم بالحفاظ على هذا التقليد الثقافي ونقله للأجيال القادمة يظلّ ثابتاً.

عبدالله فيصل أحمد الخطيب - صانع شبابة

عبدالله فيصل أحمد الخطيب يبلغ من العمر تسعة عشر عاماً ويقيم في الطيبة. يتخصّص في صناعة الشبابة وهي إحدى الآلات الموسيقية التقليدية. الشبابة هي عبارة عن قصبة مستقيمة ذات طرفين مفتوحين تحتوي على خمسة أو ستة ثقوب، وقد أتقن عبدالله صنعها بمهارة. يجلب المواد اللازمة مثل النحاس والبلاستيك والألمنيوم والقصب من محلّات أدوات البناء ومن وادي الطيبة حيث يتوفّر القصب بكثرة.

تتجلّى مهارة عبدالله في حرفته حيث يمكنه صناعة الشبابة من الصفر خلال 10 إلى 15 دقيقة فقط. تعلّم فن صناعة الآلات الموسيقية من أبناء عمّه وخاله، ويشارك معرفته أحياناً مع أصدقائه. ورغم إتقانه للصنعة، يفضّل عبدالله إبقاءها ضمن دائرته الاجتماعية ولا يبيع آلاته، إذ لا يهتم بتصديرها أو تسويقها تجارياً، ممّا يعكس مقاربته الشخصية وغير التجارية لفنّ صناعة الآلات.

عمر محمد أحمد الجداية - صانع يرغول

عمر محمد أحمد الجداية هو مزارع يبلغ من العمر ثلاثاً وأربعين عاماً، وهو من قرية صما. يتخصّص في صناعة آلة اليرغول وهي من الآلات الموسيقية التقليدية. يتكوّن اليرغول من ثلاث قصبات: اثنتان مثقوبتان مسؤولتان عن الألحان، والثالثة تصدر نغمة ثابتة لإنتاج النغمات الطويلة، إضافة إلى قصبة داخلية تُعرف بالعزابَات تتطلّب خبرة دقيقة في صناعتها. يشتري عمر المواد اللازمة مثل القصب وشمع النحل والخيوط من متاجر متخصّصة في إربد .

نظراً لتعقيد آلة اليرغول، يستغرق عمر حوالي ساعة إلى ساعتين في صنعها. وقد تعلّم الحرفة من شقيقه، وهو بارع في صناعتها وعزفها كذلك. وبدلاً من تسويق آلته تجارياً، يفضّل بيعها مباشرة للعازفين إذ لا يهتم بتصديرها، ممّا يعكس نهجه المحليّ في صناعة الآلات الموسيقية.

محمود نهار يوسف القماج - صانع مهباج

محمود نهار يوسف القماج هو متقاعد يبلغ من العمر سبعين عاماً وقد خدم سابقاً في القوات المسلّحة الأردنية. محمود من لواء الطيبة وهو متخصّص في صناعة المهباج التي تعدّ آلة إيقاعية تقليدية. يتكوّن المهباج من المدقّ والفوّهة والبدن، ممّا يتطلّب دقّة في صناعته. يستخدم محمود خشب البطم والبلوط والسدر والتوت والزعرور التي تُقطع من الأشجار وتُجفّف لمدّة عام قبل استخدامها.

يستغرق محمود حوالي يوم إلى يومين لصناعة المهباج، ممّا يعكس دقّة العمل الذي يتطلّبه. تعلّم الحرفة من والده ويعبّر عن رغبته في تعليمها للآخرين مستقبلاً. لا يقوم محمود بتسويق أو بيع آلاته، كما أنّه لا يهتم بتصديرها، ممّا يعكس مقاربته الشخصية وغير التجارية في صناعة الآلات الموسيقية.

يامن أحمد محمد العلاونة - صانع شبابة

يامن أحمد محمد العلاونة يبلغ من العمر ثلاثة عشر عاماً ويقيم في الطيبة، يُظهر موهبة كبيرة في صناعة الشبابة وهي آلة موسيقية تقليدية. إنّ الشبابة التي تشبه أنبوبة من القصب المثقوب أصبحت الآلة الموسيقية التي يفضّل يامن صناعتها. حيث يشتري المواد بسهولة مثل النحاس والبلاستيك والألمنيوم من محلّات لوازم البناء في منطقته المحلية.

يتمكّن يامن من صناعة الشبابة في غضون عشر دقائق فقط، ممّا يعكس موهبته الفطرية ومهارته في الحرفة. تعلّم فنّ صناعة الآلات الموسيقية من صديقه عبدالله، ويطمح لنقل معرفته للآخرين في المستقبل. ورغم براعته، يفضّل يامن إبقاء حرفته ضمن دائرته الاجتماعية ولا يسعى لتسويقها تجارياً، كما أنّه لا يهتم بتصدير آلاته، ممّا يعكس نهجه الشخصي وغير التجاري في صناعة الآلات الموسيقية.

د.2. معبر جابر الحدودي

خصائص المجتمع

يقع معبر جابر الحدودي على بُعد حوالي 18 كم إلى الشمال من مدينة المفرق بمحاذاة الخط الحدودي الفاصل بين الأردن وسوريا. ورغم عدم توفّر أرقام دقيقة لعدد السكان، تشير تقديرات الإحصاء السكّاني لعام 2015 إلى أنّ عددهم يبلغ نحو 2,510 نسمة. يُعدّ المعبر بوّابة للتعاملات الإقليمية ويعكس نسيجاً ثقافياً متنوعاً.

إنّ المشهد الاقتصادي في معبر جابر الحدودي يشمل الزراعة والنجارة والباعة المتنقّلين والموسيقى. توجد مؤسّسات تعليمية في المنطقة، إلا أنّه لا توجد معلومات محدّدة عن معدّل الأميّة، ممّا يشير إلى تحدّيات تعليمية تواجه المجتمع. كما أنّ ارتفاع معدّلات الفقر يسلّط الضوء على الصعوبات الاجتماعية والاقتصادية التي يواجهها السكان.

تتوفّر الخدمات الأساسية في معبر جابر الحدودي، ممّا يضمن وجود مظهر من مظاهر البنية التحتية. إنّ غالبيّة السكان من السوريين ممّا يضيف إلى الديناميكيات الثقافيّة المتنوّعة في المنطقة. يحتفل المجتمع بنشاط في الاحتفالات الدينية، ممّا يبرز أهمية الأعياد الإسلامية مثل عيد الفطر وعيد الأضحى.

تتميز الاحتفالات في معبر جابر بالغناء والموسيقى والرقصات مثل الدبكة، والتي تقام في التجمّعات السكنيّة أو قاعات الأفراح، وتُظهِر مراسم الزفاف غنى العادات والتقاليد. واللّغة الرئيسية في المجتمع هي اللغة العربية مع استخدام لهجة محليّة للتواصل الداخلي.

يتميّز مناخ المنطقة بدرجات حرارة مرتفعة تعكس البيئة القاحلة المحيطة بها. وعلى الرغم من التحديات، يواصل المجتمع الصمود ويحتفل بلحظات الحياة بالموسيقى والرقص والتقاليد المشتركة.

إنّ معبر جابر الحدودي يمثّل نقطة التقاء ثقافية، حيث ينسج السكّان قصصاً عن الصمود والاحتفالات المشتركة وتحدّيات الحياة على منطقة الحدود، مكوّنين نسيجاً فريداً على طول خطّ الحدود الأردنية السورية.

التقاليد الموسيقية

تتردّد في معبر جابر الحدودي في الأردن أصداء مشهد موسيقي متنوّع يشمل اللون الهجيني والسامر والشّعر والألوان الخاصّة بالمنطقة مثل اللون الجولاني والدرازي. كانت الموسيقى في السابق تعدّ مصدر دخل رئيسي، لكنّها الآن تتداخل مع مصادر دخل متنوّعة. يتمّ نقل هذه التقاليد الموسيقية من خلال الروابط العائلية والأقارب الذين يعزفون أو يصنعون الآلات الموسيقية. وتحظى الموسيقى بتقبّل واسع وتُعتبر جزءا من الثقافة، حيث تزدهر في الأعراس وموسم الزراعة والحصاد. تُعدّ الآلات مثل الربابة والمجوز واليرغول والشبابة جزءاً أساسياً من هذا المشهد الموسيقي. تتمّ صناعة الآلات في القرية داخل المنازل أو في الخيام باستخدام أدوات وموادّ بسيطة مثل القصب والألمنيوم والشمع والخيوط والخشب. يُعتبر المهباج آلة فريدة في المجتمع، ويظلّ المجتمع مرتبطاً ارتباطاً وثيقاً بتراثه الموسيقي عبر تعلّم صناعة الآلات الموسيقية من خلال الروابط العائلية.

الفنّانون

في معبر جابر الحدودي في الأردن، يزدهر مجتمع من الحرفيّين والموسيقيّين المهَرة، حيث يواصلون الحفاظ على الإرث الموسيقيّ الغنيّ للمنطقة وإثرائه. يعدّ هؤلاء الأفراد حُماة للتقاليد العريقة من خلال صناعة الآلات التقليدية مثل المجوز واليرغول، حيث يضمنون استمرارها للأجيال القادمة. ويجمعهم شغف عميق بالموسيقى والحرفيّة، فيُضفون على النسيج الثقافي الحيويّ في المنطقة ألحاناً يتردّد صداها في الشوارع والجلسات، آسِرة الجمهور بأدائهم الشجيّ. ومن المثير للإعجاب أنّ معظم الفنّانين الشعبيين في معبر جابر الحدودي هم أيضاً صُنّاع آلات موسيقية.

علي راشد النهيان – مغنّي

علي راشد النهيان هو مغنّي شعبيّ في الثامنة والأربعين من عمره، يقيم في منطقة حدود جابر. يُعرف بأدائه الشجيّ للأغاني التقليدية حيث يتضمّن رصيده الموسيقي ألواناً مثل الدلعونا والجفرا والظريف الطول، وتستحضر عروضه روح سهول حوران وفلسطين. إنّ التزامه بالحفاظ على التراث الثقافي يظهر في إصراره على غناء الأغاني التقليدية، سواء القديمة أو الحديثة منها، لضمان استمراريّتها للأجيال القادمة.

صانعو الآلات الموسيقيّة

نقدّم لكم فنّانين مهَرة وحرفيّين في صناعة الآلات الموسيقية يساهمون في التّراث الموسيقيّ الغنيّ للشرق الأوسط. يتخصّص عوض وخليل وعلاء في صناعة البنيات (قطعة الفم) للمجوز وقصبات اليرغول، ويستعرضون أساليبهم الدقيقة في التصنيع وتفانيهم في الحفاظ على الآلات الموسيقية التقليدية. من ناحية أخرى، تكمن خبرة مهند في صناعة الشّبّابة المصنوعة من البلاستيك والقصب، مع الاهتمام بمتانتها ورنينها الموسيقي. وبفضل التزامهما بالحرفيّة وشغفهما بالموسيقى، يساهم عوض ومهند في المشهد الموسيقي الحيوي في الأردن وسوريا وخارجهما.

خليل ابراهيم الحوشان - صانع مجوز ويرغول

خليل إبراهيم الحوشان هو موسيقيّ في منتصف العمر يقيم عند حدود جابر في الرمثا. تكمن خبرته في صناعة الآلات الموسيقية التقليدية مثل المجوز واليرغول والتي تعدّ أساسية في المشهد الموسيقيّ المحليّ. يتجلّى تفاني خليل في الحفاظ على التّراث الموسيقيّ في حرفيّته الدقيقة، مع التركيز على البنيات الخاصة بالمجوز وريش اليرغول. يستخدم القصب وشمع النحل والخيوط عالية الجودة لضمان أصالة وطول عمر آلاته التي يصنعها. بفضل إرث عائلته في صناعة الآلات الموسيقية، يفتخر خليل بنقل مهاراته إلى العائلة والأصدقاء، ممّا يساهم في استمراريّة الموسيقى التقليدية في المنطقة.

يضمن خليل أعلى جودة لكلّ آلة يصنعها من خلال الاهتمام الدقيق بالتفاصيل والحرفيّة العالية. يستغرق صنع كل آلة حوالي 15 إلى 20 دقيقة، ويتجلّى التزام خليل بالحفاظ على التّراث الموسيقيّ من خلال إبداعاته التي تلبّي احتياجات الموسيقيين والهُواة على حدّ سواء.

علاء نواف جميل الموصلي - صانع مجوز

علاء نواف جميل الموصلي يبلغ من العمر أربعين عاماً، وهو صانع آلات موسيقية يقيم في الرمثا بالقرب من معبر جابر الحدودي. يتخصّص في صنع الآلات التقليدية مثل المجوز. يمتد عمله الحرفيّ إلى تأمين المواد اللازمة وصناعة وضبط هذه الآلات بدقّة. يتجلّى التزام علاء بالحفاظ على التراث الموسيقي من خلال حرصه على صناعة آلات المجوز عالية الجودة، ممّا يضمن توافرها للأجيال القادمة من الموسيقيين.

عوض خضر الموصلي - صانع مجوز

عوض خضر الموصلي هو موسيقيّ وصانع آلات موسيقية يبلغ من العمر ثلاثين عاماً، يقيم في الأردن عند حدود جابر وتحديداً في مغير السرحان. يمتدّ عمله الحرفيّ إلى سوريا خاصة في درعا والمزيريب. يتخصّص عوض في صناعة البنيات (قطع الفم) للمجوز وقصبات اليرغول، حيث تكمن خبرته في الصناعة الدقيقة لهذه الآلات التقليدية. يجلب القصب وشمع النحل والخيوط من أجل إبداعاته، ممّا يضمن سلامة قطعة الفم والرنين الموسيقي. يتمّ تصنيف القصب على أنّه ذكر (قصبة داخلية) أو أنثى (قصبة خارجية)، ويقوم عوض باختيار القصب يدويّاً للحصول على الأداء الأمثل للآلة. ويَظهر تفانيه في الحفاظ على التراث الموسيقي جليّاً في التزامه بصنع الآلات الموسيقية التي تعكس الأصالة.

مهند ياسر الحمصي - صانع شبابة

مهند ياسر الحمصي هو عازف وصانع آلات موسيقية يبلغ من العمر سبعاً وثلاثين عاماً، يقيم في الأردن ويمتدّ نشاطه الحرفيّ إلى إربد ومغير السرحان ومعبر جابر الحدودي، كما يمتدّ إلى منطقة درعا في سوريا. يُظهر مهنّد خبرته في صناعة الآلات الموسيقية، ويتخصّص في صناعة الشبابة من القصب والبلاستيك. يصنع كل شبابة بعناية فائقة باستخدام البلاستيك أو القصب ممّا يضمن المتانة والرنين الموسيقي. وتستغرق عملية التصنيع ما بين عشرة إلى خمسة عشر دقيقة تقريباً لكلّ آلة، ويَظهر تفاني مهند في الحرفيّة في جودة إبداعاته.

الخاتمة

إنّ التّراث الموسيقيّ التّقليدي للأردن وسوريا والعراق ولبنان متجذّر بعمق في النّسيج الثقافي للمنطقة، ويعرض نسيجاً من التقاليد والتاريخ المتنوّع. من الإيقاعات البدويّة لقبائل البدو إلى الألحان المفعمة بالحياة للموسيقيين الغجر، تحكي كلّ نغمة وإيقاع قصّة الصّمود والمنَعة والغنى الثقافي. وفي مواجهة التحديات مثل الصراعات والنزوح، فإنّ تفاني الحرفيّين والمعلّمين والموسيقيّين وقادة المجتمع في الحفاظ على هذا التراث وتعزيزه أمر يستحق الثناء بالفعل.

عندما نتطلّع إلى المستقبل، من الضروري أن ندرك أهميّة صون هذا الإرث الموسيقي لصالح الأجيال القادمة. فهو لا يساعد في الحفاظ على الهويّة الثقافية وتعزيز الشعور بالفخر والتضامن فحسب، بل إنّه يوفّر أيضاً مصدراً للتشافي والتفاؤل خلال الشدائد.

ولحماية التراث الموسيقي في الأردن وسوريا والعراق ولبنان، يمكن اتّخاذ إجراءات ملموسة لضمان الحفاظ عليه وتعزيزه.

- مواصلة دعم الحرفيّين والموسيقيّين: تقديم الدعم المالي والفني للحرفيين والموسيقيين الذين يكرسون جهودهم للحفاظ على الموسيقى التقليدية. يمكن أن يشمل ذلك المنح والمساعدات الدراسية وبرامج الإرشاد لتشجيعهم على الاستمرار في الممارسة والابتكار.
- تشجيع برامج التبادل الثقافي: تسهيل برامج التبادل الثقافي بين الموسيقيين والفنانين من مختلف المناطق والبلدان. سوف يعمل هذا على تعزيز التفاهم والتعاون بين الثقافات، ممّا يؤدي إلى إثراء وتطوير أشكال الموسيقى التقليدية.
- تشجيع الحفاظ على الأماكن التاريخية: تحديد وحماية الأماكن التاريخية التي لعبت دوراً هاماً في تطوير وأداء الموسيقى التقليدية. وتوفير التمويل اللازم لترميمها وصيانتها، وضمان استمرارها في العمل كمساحات ثقافية مهمّة.
- إدراج الموسيقى الشعبيّة ضمن المناهج الدراسية، وذلك من خلال التعريف بأصالتها وتنوّعها من خلال تدريس الأغاني الشعبيّة بلهجاتها الأصيلة، وكذلك التعريف بآلات الموسيقى الشعبية وتوفيرها في المدارس.
- الاستثمار في المنصّات الرقميّة والتواجد على الإنترنت: إنشاء منصّات رقمية وأرشيفات على الإنترنت لجعل الموسيقى التقليدية في متناول جمهور أوسع. يمكن أن يشمل ذلك منصات البثّ المباشر والمواقع الإلكترونية وقنوات التواصل الاجتماعي المخصّصة للترويج للتسجيلات الموسيقية التقليدية والعروض والمعلومات ومشاركتها.
- استكشاف إمكانيّة إطلاق مبادرات السياحة الثقافية: تطوير خطط السياحة الثقافية التي تسلّط الضوء على التراث الموسيقي في المنطقة. يمكن أن يشمل ذلك تنظيم المهرجانات الموسيقية والحفلات الموسيقية والجولات الثقافية التي تقدّم العروض الموسيقية التقليدية وتوفر فرصاً للزوّار للتواصل مع الموسيقيين والحرفيين المحليين.
- مواصلة الاستثمار في التعاون والتواصل: تعزيز التعاون والتواصل بين الموسيقيين والمعلمين والباحثين والمنظمات الثقافية داخل المنطقة وعلى الصعيد الدولي. ويمكن تحقيق ذلك من خلال المؤتمرات وورش العمل والمنتديات التي تسهّل تبادل المعرفة والمبادرات المشتركة للحفاظ على الموسيقى التقليدية والترويج لها.

- الضغط من أجل وضع أطر سياسية وقانونية: الدعوة إلى تطوير وتنفيذ السياسات والأطر القانونية التي تحمي وتدعم التراث الموسيقي التقليدي. يمكن أن يشمل ذلك اتّخاذ تدابير لمنع الاستخدام غير المصرّح به للموسيقى التقليدية والاستيلاء عليها، فضلاً عن الاعتراف بالموسيقيين التقليديين ودعمهم باعتبارهم سفراء ثقافيين.
- تطوير حملات التوعية العامة: إطلاق حملات توعية عامة لتثقيف عامّة الناس حول أهميّة التراث الموسيقي التقليدي ودوره في الهويّة الثقافية والتماسك الاجتماعي. يمكن أن يشمل ذلك الحملات الإعلامية والمعارض والعروض العامة التي تحتفل بالموسيقى التقليدية وتروّج لها.
- ومن خلال تنفيذ هذه الإجراءات الملموسة، يمكن حماية التراث الموسيقي لهذه المجتمعات، وضمان الحفاظ عليه والترويج له، ومساهمته المستمرّة في الغنى الثقافي والتنوّع في المنطقة.

المراجع

ديفونالد، م.، جونز، ن.، مالاتشوسكا، أ.، الهويدي، س.، العمايرة، و.، الشمري، ف. وشريف. ك (2021) استكشاف قدرات اليافعين لدى مجتمع الدوم المهمّش في الأردن. تقرير. لندن: النوع الاجتماعي واليافعين: أدلّة عالمية.

ثقافة كيركاياك. دول الشرق الأوسط ومجتمع الدوم. في: http://www.kirkayak.org/dom-research-workshop/middle-eastern-countries-and-dom-community/

دياب، ج. ل. (2022) الدوم في لبنان: مواطنون ومهاجرون ولاجئون وبدو. في:

https://soas.lau.edu.lb/news/2022/02/the-dom-in-lebanon-citizens-migrants-refugees-and-nomads.php

المساهمون

- **الشركاء:**

- منتدى الكتاب للثقافة والتعليم في الموصل، العراق.
- مؤسسة سومر لتنمية المواهب في البصرة، العراق.
- بسمة بغدادية في بغداد، العراق.
- ميديآرتس في إربد، الأردن.
- قصتنا في الرقة، سوريا.

- **الباحثون:**
- العراق:

- أحمد فخرالدين - قرية التوفيقية، النمرود.
- نصر حاجي خدر - قريتي بعشيقة وبحزاني.
- صفاء الضاحي - قرية جيكور، أبو الخصيب، البصرة.

- الأردن:

- رهف القرعان - قرية الطيبة، إربد.
- أحمد السيلاوي - مخيم الرحّل، حدود جابر.

- لبنان:

- خزامى الجوهري - مدينة الهرمل.
- جورج الشيخ - مخيم الرحّل، عكّار.
- صقر العلي - مخيمات اللاجئين السوريين في بر الياس.

- سوريا:

- زينة شهلا - ريف حماة.
- إبراهيم المطرود - حي المشلب، الرقة.
- ريزان ميشو - قرى الكوجر الكردية، القامشلي.

الآلات الموسيقية

1. الأرغول/اليرغول:

2. البزق

3. الدف

4. دف ايزيدي

5. الكاسور

6. الكمنشة

7. طبل

8. ساز أزيدي

9. شبابة

10. مجوز / مطبق

11. مزمار

12. مهباج/مهباش

13. ناي

14. ربابة / رُباب

15. ربابة حديد

ملخّص

تشتهر بلاد الشام وبلاد الرافدين بتراثها التاريخيّ والفنيّ الغني، والذي ازدهر عبر الحضارات القديمة في المنطقة.

لقد أدّت النزاعات المسلّحة في سوريا والعراق إلى تعطيل التقاليد الموسيقية الشعبية القديمة في البلدين من خلال تهجير المجتمعات الريفيّة والبدويّة والغجريّة.

ركّزت منظّمة العمل للأمل من خلال مشروع "على خُطى الموسيقى" على توثيق الموسيقى الشعبية وإحيائها في أحد عشر مجتمعاً في سوريا والعراق ولبنان والأردن. بالشراكة مع منظّمات ومؤسّسات محليّة ودوليّة، نفّذت منظّمة العمل للأمل هذا المشروع على مدى خمس وعشرين شهراً، وهذه إحدى مراحله: مرحلة البحث.

جمع هذا البحث بين البحث المكتبي والزيارات الميدانية وتدريب الباحثين وجمع البيانات. وقد غطّى أحد عشر مجتمعاً مع التركيز على الفنّانين الشعبيّين وصانعي الآلات الشعبية.

من التّراث البدويّ والريفيّ في الهرمل إلى مجتمع الرحّل/الغجر في عكّار، مروراً بمخيّمات اللاجئين السوريين في بر الياس، قمنا باستكشاف التراث الشعبي الغني الذي يحمله لبنان.

وفي سوريا، ظهر تنوّع مثير للإعجاب في المجتمع البدوي في حماة، والرحلة البدويّة للأكراد البدو "الكوجر"، وأخيراً مع تقاليد أهل الفرات في الرقة.

والفسيفساء العِرقيّة في العراق، بدأت في النمرود في شمال العراق وتقاليدها الريفية، واستمرّت مع التراث الإيزيدي المذهل، وانتهت في جنوب العراق في أبو الخصيب، من خلال تغطية نوع "الخشابة" الفريد من نوعه.

كما تمّ توثيق مجتمعات الغجر/الرحّل والمجتمعات الريفيّة في الأردن، مع تسليط الضوء على آلاتهم الموسيقية الشعبية وأنواع الموسيقى في قرية الطيبة ومعبر جابر الحدودي.

تمّ استكشاف وتوثيق عشرات الفنّانين وصانعي الآلات الموسيقية وأنواع الموسيقى والآلات الشعبية واللهجات والألحان في هذه المجتمعات الإحدى عشر. لكلّ مجتمع خصوصيّته، ومع ذلك تتقاطع في أشياء كثيرة مثل الآلات الشعبية التي قد تُسمّى بأسماء مختلفة، بالإضافة إلى أشكال الموسيقى وأحيانا الألحان والكلمات.

يُعدّ التراث الموسيقي التقليدي في الأردن وسوريا والعراق ولبنان متجذّراً بعمق في النسيج الثقافي للمنطقة، حيث يعرض نسيجاً من التقاليد والتاريخ المتنوّع.

عندما نتطلّع إلى المستقبل، من الضروري أن ندرك أهميّة صون هذا الإرث الموسيقي لصالح الأجيال القادمة. فهو لا يساعد في الحفاظ على الهويّة الثقافية وتعزيز الشعور بالفخر والتضامن فحسب، بل إنّه يوفّر أيضاً مصدراً للتشافي والتفاؤل خلال الشدائد.